

تاريخ الإرسال (2020-09-21)، تاريخ قبول النشر (2020-11-01)

د. رمضان محمد علي مبروك مطاريد

اسم الباحث الأول:

أ.د. عدنان عبد الرزاق الحموي العُلبّي

اسم الباحث الثاني:

قسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة - جامعة
قطر - قطر

اسم الجامعة والبلد:

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

a.alolabi@qu.edu.qa

منهجية التعليم القرآني في المملكة المغربية وبلاد شنقيط - دراسة وصفية

<https://doi.org/10.33976/IUGJIS.29.4/2021/8>

الملخص:

يهدف البحث إلى التعريف بمؤسسات التعليم القرآني، في المغرب وبلاد شنقيط (موريتانيا)، والوقوف على مناهجها التربوية، والتي ظلت - وما تزال - منارات إشعاع علمي، حافظ على تراث الأمة، وهويتها من الضياع والانقراض. وتكمن مشكلة البحث في وجود ظاهرة غياب كثير من هذه المؤسسات عن الواقع المعيش، وغياب الدور الذي كانت تقوم به من قبل، وعزوف كثير من المسلمين عن إلحاق أبنائهم بها. والإشكالية الحاضرة هي الأثر السلبي المترتب على تهميش هذه المؤسسات التعليمية العتيقة، والدور الذي يمكن أن تقدمه للناشئة المسلمة، لا سيّما في الوقت الحاضر الذي طغت فيه - العولمة الثقافية - على عقول الناشئة، مما يندز بضياع الهوية الإسلامية والعربية. وتبرز أهمية البحث في بيان المنهج التعليمي والتربوي الذي امتازت به مؤسسة "الكُتّاب" و "المحضرة"، ودور هذا المنهج في المحافظة على مقومات الأمة الإسلامية، وحفظ تراثها. وقد اعتمد البحث المنهج التاريخي، والوصفي التحليلي في تتبع الظاهرة تاريخياً، ووصفها، وتحليل الآثار المترتبة عليها. ومن أهم نتائج البحث وجوب العمل على إحياء دور هذه المؤسسات، وتطوير مناهجها بما يتناسب ومتطلبات الوقت الراهن؛ لمواجهة العولمة الثقافية الكاسحة.

كلمات مفتاحية: منهج، التعليم القرآني، المغرب، شنقيط.

Methodology of Quranic education in the Kingdom of Morocco and the country of Chinguetti _ Descriptive study

Abstract:

The research aims to introduce the institutions of Quranic education in Morocco and the countries of the Chinguetti (Mauritania); and to review their educational curricula. These institutions have been - and still are - a minaret of scientific rays, which preserved the nation's heritage and its identity from being lost and vanished. The research problem lies in the invisible presence of these institutions from the living reality, the absence of their historical role they played in the past, and the reluctance of many Muslims to enroll their children to these institutions. The present problem is the negative impact of the marginalization of these prestigious educational institutions, and the role that they could contribute to the Muslim youths; especially in the present time of cultural globalization, that has overwhelmed the minds of the young generations in an alerting pattern. This phenomenon alerts of the loss of the Islamic and Arab identity in these countries. The importance of this research is highlighted in shedding light on the educational curricula that distinguished the "Kottab" and "Al-Mahdara" schools, and their influential role in preserving the fundamentals of the Islamic nation and preserving its heritage. The research adopted the historical, descriptive and analytical methods in identifying the origins, the development of these institutions, clarifying their educational curricula, their shortcomings, and providing possible solutions to their challenges. Among the most important results identified is the need to revive the role of these institutions and to further develop their curricula in line with the requirements of the present time; to counter the sweeping cultural globalization.

Keywords: Curriculum, Education, Quranic, Morocco, Chinguetti.

موضوع البحث⁽¹⁾: منهجية التعليم القرآني في المملكة المغربية وبلاد شنقيط⁽²⁾

دراسة وصفية

المقدمة، وفيها: تعريف بالموضوع وأسباب اختياره، وفكرة البحث، وهدفه، وأهمية الموضوع ودواعي الكتابة فيه، وإشكالية البحث وأسئلته، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة الدراسة فيه.

أولاً: التعريف بالموضوع وأسباب اختياره:

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن الكريم رحمة للعالمين، بلسان عربي مبين، وجعله مصدقاً وحكماً غير ذي عوج، وفصل آياته وحياً يهدي للتي هي أقوم، وينذر الذين ظلموا، وبشرى للمؤمنين، والصلاة والسلام على النبي الأمي العربي أمين وحي الأرض، تلقى القرآن من لدن حكيم عليم، وحياً بواسطة الروح الأمين وحي السماء، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فجزاه الله عننا وعن الأمة الإسلامية خير ما جازى نبياً عن أمته، وبعد:

فقد ظلت وما تزال الكتابات والمحاضر القرآنية المنتشرة في ربوع العالم الإسلامي عامة، وفي المملكة المغربية، وبلاد شنقيط في بواقيها وحواضرها مهتمة بتعليم القرآن وتحفيظه، وتلقين أصول رسمه بطريق السماع والاستظهار؛ إيماناً من القائمين عليها بالمحافظة على مصدر الدعوة الإسلامية، واللغة التي أنزل بها، ومحافظة على هوية المسلم من الضياع.

وقد تعددت مسميات مؤسسات تعليم القرآن الكريم في بلاد الإسلام، فكان منها: "الكتاب" و"المحضرة"، و"الخلاوي"، و"المدارس القرآنية"، و"دور تحفيظ القرآن الكريم"، و"حلقات التحفيظ"، و"مراكز تحفيظ القرآن الكريم". وذلك بحسب عُرف كل بلد مسلم. وجميع هذه المسميات تفيد في مجملها _ الشكل والمضمون الذي يفيد لفظ "الكتاب" إلا في القليل.

(1) هذا البحث من إعداد: د. رمضان محمد علي مطايريد أستاذ الدعوة والثقافة المساعد - قسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة - جامعة قطر (باحث رئيس)، وأ. د. عدنان عبد الرزاق الحموي الغلبي أستاذ التفسير وعلوم القرآن - قسم القرآن والسنة - كلية الشريعة - جامعة قطر (باحث مشارك، ورئيس فريق المشروع البحثي لهذه المنحة). وهذا البحث ممول من قبل جامعة قطر _ منحة دعم الأبحاث الداخلية التكميلية 2020 _ المنح الداخلية بجامعة قطر 2-20/20-21-QUCG-CSIS. هذا وتعتبر نتائج البحث مسؤولية الباحث الرئيس بشكل أساسي".

"This research was supported by Internal Grants at Qatar university, Internal Grant No. QUCG-CSIS-21/20-2. The findings achieved herein are solely the responsibility of the author[s].".

(2) لماذا بلاد "شنقيط" بديلاً عن "موريتانيا"؟ يجب على هذا التساؤل الخليل النحوي في كتابه الماتع (بلاد شنقيط المنارة والرباط) فيقول: يكاد الجيل العربي المعاصر لا يعرف شيئاً عن بلاد "شنقيط"، فمنذ عقود من الزمن أصبحت "شنقيط" نكرة في محيطها العربي _ الإسلامي _ بعد أن كانت معرفة في قرون خلت. ويقول: كانت "شنقيط" مركز إشعاع علمي، تحمل النسبة إليه تلقائياً جملة من المعاني التي تنتشر في التراجم، ومنها: عالم، فقيه، مُحَدِّث، حافظ، شاعر، رواية لأيام العرب وأشعارها، ... إلخ... ولذا كانت هذه الكلمة "شنقيط" بحروفها الخمسة _ وليس الأرض والسكان فحسب _ هدفاً لغارات المستعمرين _ المُحتلِّين _ الذين اقتحموا البلاد في مطلع القرن العشرين، بعد جهد جهيد... لقد بهرهم "البيضان" أي: "الشناقطة"... ووجدوا أنفسهم في بلد تمثل الثقافة فيه قمة المجد، ولاحظوا أنه لا يوجد أي مجتمع بدوي يبلغ مبلغ البيضان في العلم،... وخلص رجال الاستعمار من مشاهداتهم فقالوا: إن هؤلاء القوم لا يمكن أن ينظروا إلى حضارتنا بعين الإعجاب. وكان لا بد من مواجهة حادة على الساحة الثقافية لتغيير هذه الصورة،... فكان النُبْذُ بالكلمة... كانت كلمة "شنقيط" بدالاتها المعرفية أول ضحايا الاستعمار الفرنسي، فقد ابتعث الفرنسيون كلمة "موريتانيا" من مرقد روماني عتيق لتكون علماً على بلاد "شنقيط"،... وكان في دلالة العَلَم الجديد "موريتانيا" بلاد: العرب، أو السُمر، ما يضمن لها حظاً القبول. لكن الحق أن "موريتانيا" هذه قد نهضت على أنقاض "شنقيط" أو على ركن منها متصدِّع، فقد أعمل المستعمر معول الهدم في البنيان الحضاري والميراث الثقافي الذي لم تكن "شنقيط" إلا عنواناً له، وعلماً عليه. انظر: النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، (ص 9، 10).

ثم تطور مفهوم بعض هذه المؤسسات التعليمية الأهلية مثل: "المحضرة" واتسعت مهمتها التعليمية؛ لتكون مدرسة، ثم جامعة تعليمية تهتم بالعلوم الشرعية والعربية، ثم ما لبثت أن التحق بعضها _ وهو قليل _ بركب التعليم النظامي في بعض مواد التخصص مواكبةً للعصر الحاضر.

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع ما يلي:

- ✓ التعريف بمؤسسات التعليم القرآني "الكتاب والمحضرة" في المملكة المغربية، وبلاد شنقيط، وتتبع نشأتها وتطورها.
- ✓ الوقوف على المنهج التعليمي والتربوي لهذه المؤسسات، وكيف أسهم في الحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية _ القرآن الكريم، واللغة العربية، والتراث الإسلامي، ومنظومة الأخلاق والقيم الإسلامية _ وإمكانية الاستفادة منه في واقعنا المعيش.
- ✓ الوقوف على أبرز التحديات التي تواجه هذه المؤسسات _ اليوم _ والعمل على تقديم مقترحات لحلها.
- ✓ معالجة أحد جوانب المشروع البحثي الذي تمت الموافقة عليه من وحدة البحوث بجامعة قطر، وعنوانه: "مناهج التعليم القرآني المعاصرة في العالم الإسلامي، مقارنة بمنهج التعليم القرآني في دولة قطر، دراسة تأصيلية".

ثانياً: فكرة البحث:

جاءت فكرة البحث من خلال مناقشة علمية مع الزملاء في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية _ جامعة قطر _ حول إمكانية تقديم مشروع بحثي عن التعليم القرآني في دول العالم الإسلامي، والمناهج المتبعة في المؤسسات التعليمية المعنية بهذا النوع من التعليم، وعمل مقارنة بين هذه المناهج، ومنهج مراكز تحفيظ القرآن الكريم بدولة قطر، وإمكانية تطوير هذا المنهج خاصة في المرحلة الأولى من تعليم الأطفال في مرحلة ما قبل الالتحاق بالمرحلة الابتدائية من التعليم الأساسي، حيث تعليم الحروف الهجائية وحركاتها، وتلقين الناشئة قصار السور.

ثالثاً: هدف البحث: يهدف البحث إلى:

- ✓ التعريف بمؤسسات التعليم القرآني، في المملكة المغربية وبلاد شنقيط، والوقوف على مناهجها التربوية، والتي ظلت _ وما تزال _ منارات إشعاع علمي، حافظ على تراث الأمة، وهويتها من الضياع والانقراض.
- ✓ الوقوف على أوجه القصور في مناهج هذه المؤسسات في الوقت الحاضر، وبيان أسبابها، وتقديم الحلول المقترحة للتغلب عليها.
- ✓ دراسة المناهج التعليمية والتربوية في هذه المؤسسات والوقوف على محتواها؛ بغية التوصل إلى منهج تعليمي وتربوي يتناسب وروح العصر، تماشيًا مع مستجدات الواقع المعيش.

رابعاً: أهمية البحث ودواعي الكتابة فيه:

تأتي أهمية الموضوع في كونه يوضح الصورة المشرفة التي كانت عليها مؤسسات التعليم العتيق _ التعليم القرآني _ في المملكة المغربية، وبلاد شنقيط بمنهجيتها التعليمية والتربوية، والدور الذي قامت به من حفظ هوية الأمة الإسلامية ومقوماتها المتمثلة في: القرآن الكريم، واللغة العربية، وعلوم الشريعة الإسلامية بتتبعها. كما تبين الدراسة بعض الخلل الواقع في عمل هذه المؤسسات على اختلاف أنواعه، واقتراح الحلول لمعالجته، وبيان حاجة هذه المؤسسات إلى مزيد دعم من الدولة والمجتمع على حدٍ سواء؛ لتنهض بالدور المنوط بها في عصر العولمة الثقافية الكاسحة.

وقد تعرّضت الدراسة لبيان مناهج التعليم القرآني في المملكة المغربية _ في مرحلة الكُتّاب خاصة _ وللمناهج التعليمي للمحاضر الشنقيطية خاصة بعد تطورها؛ وذلك لبيان الفرق بينهما، وأوردت في ذلك آراءً معتبرة لعلماء أجلاء، تمّ توثيقها في مواضعها.

خامساً: إشكالية البحث وأسئلته:

تبرز مشكلة البحث في ظاهرة غياب كثير من الكتاتيب عن الواقع المعيش، وغياب الدور الذي كانت تقوم به من قبل، وعزوف كثير من المسلمين عن إلحاق أبنائهم بها.

وتكمن إشكالية البحث في الأثر السلبي المترتب على تهميش دور هذه المؤسسات التعليمية العتيقة، وما يمكن أن تقدمه للنشء المسلم، لا سيّما في الوقت الحاضر الذي طغت فيه _ العولمة الثقافية _ على عقول كثير من أبنائنا، مما ينذر بضياح هويتنا الإسلامية والعربية. ومن ثم تسعى هذه الدراسة إلى طرح جملة من الأسئلة، محاولة الإجابة عليها، وهي:

- ما دلالة مصطلح "الكُتّاب" و"المحضرة"؟ ومتى كان ظهورهما؟
- ما أهم الآثار التي ترتبت على نشأة المحاضر التعليمية في بلاد المغرب العربي؟
- ما آثار نظام التعليم المعاصر على استمرارية البقاء للمحضرة التعليمية؟
- ما أهمية إحياء روح "المحضرة" في الواقع المعيش للأمة الإسلامية؟

سادساً: حدود الدراسة:

الحدود المكانية: المملكة المغربية، وبلاد شنقيط.

الحدود الزمانية: من بداية دخول الإسلام إلى هذه البلاد، وإلى الوقت الحاضر.

سابعاً: الدراسات السابقة:

توجد دراسات سابقة _ متنوعة _ تناولت بعض الجوانب ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة، ومن أهمها ما يلي:

(أ) دراسة بعنوان: "حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة" صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية⁽³⁾.

وهذه الدراسة الوافية عبارة عن تسجيل توثيقي لطريقة حفظ المغاربة للقرآن الكريم، وأدبيات المحضرة، والتقاليد المتبعة في الكتاتيب المغربية، وتجذّر الثقافة المحضرية في المجتمع المغربي. والكُتّاب جامع لكثير من المادة العلمية التي تتعلق بالكُتّاب والمُحَضَّرَة في بلاد المغرب العربي، منذ القَدَم حتى العام 2006م، غير أنه لم يتناول ما آل إليه حال كلِّ من "الكُتّاب" و"المُحَضَّرَة" في بلاد المغرب العربي، بعد هذه الفترة حتى كتابة هذا البحث، ولم يتناول المحضرة الموريتانية بمنهجها التعليمي والتربوي، وما آل إليه وضعها اليوم، في ظل المتغيرات الثقافية والسياسية الراهنة. وهو ما امتازت به الدراسة موضوع البحث.

(ب) دراسة بعنوان: المحاضر الموريتانية: مؤسسات لنقل المعارف⁽⁴⁾.

وقد تناولت تعريف المحضرة، ونشأتها وتطورها، والسمات العامة التي تتميز بها عن بقية مؤسسات التعليم الأخرى، والأدوار التي اضطلعت بها، والتحديات الأساسية التي تواجه مؤسسات المحضرة حالياً، والتعليم المحظري ودوره في الظروف الحالية. وهي دراسة

⁽³⁾ حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 1427هـ_2006م.

⁽⁴⁾ محمود، دراسة بحثية منشورة على الرابط:

<https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:BsTJZftZjkoJ:https://>

وافية في بابها، غير أنها لم تتعرض للحديث عن منهجية التعليم القرآني في بلاد المغرب، واقتصرت على المحاضرة الموريتانية دون غيرها، كما لم تتناول دراسة منهجية تعليم الصغار مبادئ التهجي والكتابة.

(ج) دراسة بعنوان: المحاضر مكانتها التاريخية ودورها المستقبلي المطلوب⁽⁵⁾.

وهي محاضرة عظيمة الفائدة تناولت رسم خارطة للمحافظة على المحاضر، والمنهج الأصيل الذي تنتهجه، مع الدعوة إلى تطويرها لمواكبة مستجدات الوقت الراهن، لكنها خلت من ذكر المناهج التعليمية والتربوية لبلاد المغرب العربي، وكذلك جاء الحديث فيها مقتضباً عن منهج المحاضرة في التعليم والتربية.

(د) دراسة بعنوان: بلاد شنقيط المنارة والرباط _ عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)⁽⁶⁾.

"بلاد شنقيط المنارة والرباط" الكتاب الذي سَدَّ فراغاً هائلاً في التعريف بالحضارة الشنقيطية بتنوعها المعرفي والثقافي والأدبي والعلمي، كما أنه أصبح اليوم المرجع الأساس للباحثين والمهتمين بهذه الحضارة، خاصة جامعاتها المتنقلة "المحاضر". والحق يُقال: إنَّ الكتاب مرجع لا غنى لأي باحث عنه في كل ما يتعلق بالمحاضر في بلاد شنقيط، فهو مصدر في هذا الباب، وما بعده من كتابات فيه عالية عليه، وقد اعتمد البحث عليه في جُلِّ ما يتعلق بالمحاضر، إن نقلاً، أو تصرفاً، أو أخذاً بالمعنى، ثم الصياغة الأسلوبية المختلفة، غير أنه لم يتناول بالحديث المفصل، ما جاء في المبحث الأول، والمبحث الخامس من الدراسة التي تمَّ القيام بها، وهو ما يميزها عنه.

ثامناً: منهج البحث وأدواته: اعتمد البحث المنهج التاريخي، والوصفي التحليلي.

أولاً: المنهج التاريخي: حيث تمَّ جمع وترتيب المعلومات عن حقائق وأحداث سبقت، والتأكد من صحتها، مع تتبُّع الحركة الثقافية والتاريخية للكتاتيب والمحاضر في جزء من بلادنا الإسلامية، والعربية، منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر.

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي: وقد قُصد فيه وصف "الكُتَّاب والمحاضرة" في المملكة المغربية، وبلاد شنقيط، وتحليل الأحداث وتقويمها؛ ومن ثم الوقوف على الدور التعليمي والتربوي الذي تُقدِّمه هذه المؤسسة لمنتسبيها⁽⁷⁾.

تاسعاً: هيكل البحث: يمكن تصور هيكل البحث متمثلاً في العناصر الآتية: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: عناصرها وأركانها المحددة، وهي تسعة.

التمهيد: بيان بعض المصطلحات ذات الصلة، وهي سبعة.

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات.

المبحث الثاني: المحاضر الموريتانية: التعريف والنشأة.

المبحث الثالث: المنهج التربوي للمحاضرة الموريتانية.

⁽⁵⁾ ولد بيه، الدكتور عبد الله ولد الشيخ المحفوظ، محاضرة مسموعة مفرَّغ نصها على الرابط:

<http://binbayyah.net/arabic/archives/3898> بواسطة: محمد سعيد ولد همدى.

⁽⁶⁾ الناشر: مطبعة المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس 1987م، في مجلد واحدٍ تعداد صفحاته (647 صفحة). المؤلف: الخليل بن محمد النحوي.

المولود في سنة 1374هـ_1955م، بالركيز (موريتانيا)، أستاذ جامعي، باحث متخصص في علوم اللغة والدين والتربية والتاريخ، شاعر وكاتب، وهو مؤلِّفٌ جُدُّ رائع في التاريخ الثقافي الموريتاني.

⁽⁷⁾ الساعاتي، تبسيط كتابة البحث العلمي، (ص78، 79)، بتصرف.

المبحث الرابع: مشكلات المحاضر في موريتانيا وكيفية معالجتها.

المبحث الخامس: مناهج تعليم القرآن الكريم في المملكة المغربية.

الخاتمة، وفيها: أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

التمهيد:

توجد جملة من المصطلحات تتردد بصفة دائمة عند الحديث عن المحاضر العلمية في موريتانيا، ومن الضرورة الإشارة إليها، كما هو الحال في الحديث عن الخلاوي القرآنية في السودان. وهي مصطلحات ذات صلة بموضوع الدراسة.

-المحضرة: جامعة إسلامية شنقيطية أكثر ما توجد في البادية.

-المرابط: شيخ المحضرة، والعالم عمومًا.

-الطالبة: علّم على بيوتات العلم والتصوّف الكبيرة.

-الطالِبُ: المرابط (اختلاف في الاصطلاح حسب المناطق).

-المؤيّد: التلميذ، أو الطالب الذي يدرس في المحضرة، ولا زاد له.

-الدولة: طالبان _ فأكثر _ يشتركان في مَثْنٍ واحدٍ في المحضرة.

-الزوايا: القبائل المتخصصة، أو المهتمّة بالعلم تَعَلُّمًا وتعليمًا⁽⁸⁾.

المبحث الأول: التعريف بالمصطلحات، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مصطلح المَحْضَرَة في بلاد المغرب.

تختلف دلالة مصطلح "المَحْضَرَة" في الوقت الحاضر، في عُرْفِ أهل المغرب عنه في بلاد شنقيط، وذلك تبعًا للمنهج التعليمي والتربوي الذي تضطلع به كل منهما. ففي بلاد المغرب _ المملكة المغربية _ لا يعدو أن يكون مفهوم مصطلح المَحْضَرَة _ اليوم _ مثل مفهوم مصطلح "الكُتَّاب" حيث يُمَثَّلُ مرحلة مهمة في تعليم النشء مبادئ القراءة والكتابة من خلال تَعَلُّمِ حروف التهجي العربية، والتي تختلف في ترتيبها عن مثيلاتها في بلاد شنقيط. لكنه كان يعني من قبل ما يعنيه مصطلح المحضرة الشنقيطية بمفهومها العلمي والتعليمي الواسع.

أما دلالة مصطلح المحضرة في بلاد شنقيط (موريتانيا) بحسب العُرْفِ السائد هناك، فهي تعني: جامعة بدوية متنقلة _ أو ثابتة _ يدرس المتعلم فيها علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث، والمتون الخاصة بالعلوم الشرعية والعربية _ والقراءات القرآنية، وعلوم اللغة العربية، وبعضها يدرس العلوم التجريبية الحديثة، وما قبلها من مرحلة عُمرِيَّةٍ للطفل، تكون مرحلة الكُتَّاب؛ لتعلم حروف العربية _ ألفباء _ بحركاتها المتنوعة، وتعلم الكتابة، وقصار السور حتى ختم القرآن الكريم، ثم الالتحاق بالمحضرة، وغالبًا ما يكون عُمرُ الطالب فيها من العاشرة إلى الثانية عشرة.

المطلب الثاني: تعريف الكُتَّاب.

(أ) **التعريف اللغوي:** يقول ابن منظور في معنى كَتَبَ: الكِتْبَةُ «اَكْتَبْتُكَ كِتَابًا تَنْسَخُهُ. وَيُقَالُ: اَكْتَتَبْتُ فُلَانًا فُلَانًا؛ أَي سَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ كِتَابًا فِي حَاجَةٍ، وَاسْتَكْتَبَهُ الشَّيْءُ؛ أَي سَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَهُ لَهُ، وَقِيلَ كَتَبَهُ: خَطَّهُ، وَاَكْتَتَبَهُ اسْتَمْلَاهُ». وفي التنزيل قال تعالى: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [الفرقان: 5].

(8) النحوي، بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط، (ص15).

«والمكتَّب المعلم، وقال اللحياني: هو المكتَّب الذي يُعَلِّم الكتابة، وقال الحسن: كان الحجاج مُكْتَبًا بالطائف يعني مُعَلِّمًا، ومنه قيل: عبَّدَ المكتَّبُ لأنه كان معلما. والمكتَّبُ موضع الكُتَّاب، والمكتَّبُ والكُتَّاب: موضعُ تعليم الكتابة والجمع الكتاتيب والمكاتيب»⁽⁹⁾.

(ب) **التعريف الاصطلاحي:** «الكُتَّابُ بضم الكاف وتشديد التاء، هو موضع تعليم الكتابة. والجمع الكتاتيب. وقد استعمل ابن سحنون كلمة (مُكْتَب) عوض لفظة كُتَّاب»⁽¹⁰⁾. فالكُتَّابُ إذن هو موضع الكتابة، وهو المكان الذي يتلقَّى فيه الصَّبيان العلم ويجتمعون فيه لحفظ القرآن الكريم قراءةً وكتابةً، ويتلقَّون فيه مبادئ الدِّين الإسلامي واللغة العربية وبعض العلوم الأخرى. وهو عبارة عن مؤسَّسة صغيرة تتم بمبادرة من جماعة تحرص على أن يتلقَّى أبناؤهم المعارف الأولية الصَّورية، ويعتمد المعلم فيها على آباء التلاميذ»⁽¹¹⁾.

وعرَّف الكُتَّابُ بأنه: «عبارة عن قاعة واحدة كبيرة يختلف حجمها حسب عدد المتعلمين فيها، مليئة بعشرات المستويات حيث تضم عدداً كبيراً من الصبية بين الرابعة والسادسة عشر كل منهم عاكف على اللوح الذي يكتب فيه أو يقرأ منه»⁽¹²⁾. وهي مكان للتعليم الأساسي يقام غالباً بجوار المسجد، إن لم يكن في دار الشيخ، أو في فناء واسع أمام بيته يُسمَّى: (الحَوْش، أو الجُرْن) لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادئ الإسلام، واللغة العربيَّة، والحساب... وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم، ويديرها معلِّم يُعرفُ بعدة أسماء حسب كل منطقة وكل قطر وهي: لقب سيدنا، والشيخ بمصر، والفقير في بلاد المغرب العربي، والطالب ببعض بلاد الجزائر، والمطوع أو الملاً بدولة قطر، والشيخ والمؤدِّب، وهي أسماء كلها تجيل وتوقير لمن يقوم بهذه المهمة العظيمة.

المطلب الثالث: لمحة تاريخية عن نشأة الكُتَّاب وتطورها.

ترتبط أوليات التعليم القرآني بأوليات الدعوة الإسلامية نفسها، حتى يمكن القول عنها: إنها انطلقت من غار حراء، أي: من تعليم جبريل ﷺ للنبي ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: 1_5]. وهو أول ما نزل من الذِّكر الحكيم.

وكان رسول الله ﷺ أول المُعلِّمين لهذه الأمة من الأميين، قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الجمعة: 2]. فقد كان النبي ﷺ يتلقَّى ما يُوحى إليه من ربه فيحفظه ويعيه ويحفظه لأصحابه ﷺ، ثم كانت دار «الأرقم بن الأرقم» حيث كان يجتمع بمن أسلم سرّاً في هذه الدار فيتلو عليهم آيات القرآن الكريم ويعلمهم شرائع الإسلام»⁽¹³⁾.

وتعلَّم أصحابه ﷺ منه ما كان ينزل عليه، وعلمه بعضهم لبعض، فكانوا أول رعييل من المُعلِّمين، وكان من أشهرهم: عبادة ابن الصامت، وأبان بن سعيد بن العاص، ومصعب بن عُمير، ومعاذ بن جبل، وعمرو بن حزم الخزرجي النجاري، ورافع ابن مالك الأنصاري⁽¹⁴⁾. وتؤكد الشواهد التاريخية والواقعية أنَّ التعليم عند المسلمين بدأ في وقت مُبكر، فالمتصفح للسيرة النبوية يجد بيت النبي محمد ﷺ أول مدرسة لنشر تعاليم الدين الإسلامي. وكان من الصحابة ﷺ مَنْ يُعلِّم المسلمين الكتابة والخط، ومنهم: زيد بن

⁽⁹⁾ ابن منظور، لسان العرب، مادة: كتب، (18/13).

⁽¹⁰⁾ ابن سحنون، آداب المعلمين، (ص48).

⁽¹¹⁾ عيسى، مدرسة الإقراء الجزائرية، (مقال) مجلة رسالة المسجد، (ص9).

⁽¹²⁾ مجلة إسلامية المعرفة، مقتطفات من مذكرات الشيخ: قصة حياة الشيخ الغزالي، (ص157_158)، عدد خاص بالشيخ الغزالي رحمه الله.

⁽¹³⁾ قباني، السيرة النبوية والخلافة الراشدة، (ص28).

⁽¹⁴⁾ الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (107_103/1).

ثابت، وعبد الله بن سعيد بن العاص الأموي، وعبادة بن الصامت. ومنهم _ كذلك _ الشفاء أم سليمان بن أبي حنيفة، الذي أمره عمر رضي الله عنه أن يؤم النساء في صلاة التراويح بالمسجد النبوي صلى الله عليه وسلم جميعاً⁽¹⁵⁾. هذا بالإضافة إلى أنه تم إنشاء دار للقراء في المدينة زمن النبوة، وتعدُّ بمثابة اللجنة الأولى في نشأة المدارس القرآنية والعلمية في بلاد الإسلام، وهي تُعدُّ بمثابة المحاضرة اليوم⁽¹⁶⁾. والمستقرى للتاريخ الإسلامي يرى أن فكرة إنشاء الكتاتيب بدأت في وقت مُبكر، وبالتحديد في العام الثاني للهجرة النبوية ونشأة الدولة الإسلامية، وهذا ما توضّحه الرواية المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم «حين جعل فداء بعض الأسرى ممن يعرف القراءة والكتابة منهم، أن يُعلم عشرة من المسلمين، ويكون هذا فداءً له، وهو تصرفٌ حكيم من رسول الله صلى الله عليه وسلم له دلالة عظيمة توضح عناية الإسلام بالتعليم، وهذه أول حادثة من نوعها في تاريخ البشرية، فلم يعرف أن فاتحاً منتصراً قبله صنع مثل هذا الصنيع»⁽¹⁷⁾. لكن لم يوجد مكان محدّد للجلوس فيه لأجل التعلّم، وإنما كان في المسجد تارة، وفي بعض بيوت الصحابة تارة أخرى.

وبهذا الفهم الواسع، والحرص على التعلّم من هذا النبي الأمي في هذه الأمة الأمية يكون هو صلى الله عليه وسلم أول من مجّد القلم، وأدوات التعلم ووسائله، وعمل على نشر الكتابة ومحو الأمية بين أتباعه بكل السبل⁽¹⁸⁾. وقد توسّعت فكرة الكتاتيب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث «أمر ببناء بيوت المكاتب ونصّب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم، وكانوا يسردون القراءة في الأسبوع كُله. فلما فتح عمر الشام، ورجع قافلاً للمدينة تلقاه أهلها ومعهم الصبيان، وكان يوم الأربعاء، فظلوا معه عشية الأربعاء ويوم الخميس وصدر يوم الجمعة، فجعل ذلك لصبيان المكاتب، وأوجب لهم سنة للاستراحة، ودعا على من عطل هذه السنة. ثم اقتدى به السلف في الاستراحات المشروعة إلى يومنا هذا»⁽¹⁹⁾.

ومن الإشارات القوية على ذلك ما رواه البخاري بسنده عن عنبسة قال: رأيت ابن عمر يسلم على الصبيان في الكتاب⁽²⁰⁾. هذا، والكتاتيب هي أبسط مدارس عرفها التاريخ عند المسلمين الفاتحين، وهذا الاعتراف نجده عند المستشرق «ريس»، ومما جاء في كتاباته ما يلي: «... ويظهر أنه قد وجدت منذ فجر الإسلام، أمكنة كانوا يجتمعون فيها لاستظهار القرآن وتدارسه، ولا شك في أن هذه المواضيع، كانت كالمدراس الأولية، يتعلّمون فيها مبادئ القرآن، وأصول الكتابة العربية»⁽²¹⁾. وهكذا انتشرت الكتاتيب انتشاراً كبيراً، وفي زمن مبكر من عُمر الدعوة الإسلامية في العواصم والمدن التي دخلها الإسلام، فما من قرية فتحها المسلمون إلا وأسّسوا فيها كتاباً لتعليم الصبيان؛ لما للقرآن الكريم من مكانة عظيمة في قلوب المسلمين؛ حيث ورد في فضل تعليمه وتعلّمه أحاديث نبوية تحثُّ المسلمين على صرف العناية إلى خدمته، ومن جملة الأحاديث الشريفة: عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَيْرِكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»⁽²²⁾. ومن ثم كان حرصُ الآباء على تعليم صغارهم القرآن الكريم منذ سن مبكرة، حيث نجد ذلك بصورة واضحة في الأرياف خاصةً، فلا يكاد الصبي يبلغ الرابعة من عمره، حتى يأخذه والده إلى الكتاب في دار الشيخ، أو التابع للمسجد ليحفظ القرآن، إيماناً منه بأهميته في حياة ولده، وتبركاً به.

(15) ابن الجوزي، المُذهش، ص: 50. وانظر: ابن عاشور، أليس الصبح يقرب، (ص46، 47، 53، 54)، بتصرف.

(16) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (1/108_109)، مرجع سابق.

(17) قباني، السيرة النبوية والخلافة الراشدة، (ص58)، مرجع سابق. وينظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، (1/368).

(18) القرضاوي، كُتاب الرسول والعلم، (ص40)، بتصرف.

(19) الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (2/199_200).

(20) البخاري، الأدب المفرد، باب السلام على الصبيان، رقم الحديث: [1044]، (ص269).

(21) السباعي، من روائع حضارتنا، (ص88).

(22) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث: [4758].

المطلب الرابع: نشأة الكتاتيب في بلاد المغرب.

عُرِفَ نظام الكتاتيب في بلاد المغرب _ المملكة المغربية _ منذ دخلها الإسلام على أيدي الفاتحين المسلمين الأولين من الصحابة والتابعين _ رضي الله عنهم أجمعين _ . وقد نشأت الكتاتيب فيها منذ أواسط القرن الأول للهجرة، فحينما خطَّ الفاتحون مدينة القيروان، أنشئوا الدور والمساجد، ثم التفتوا إلى صبيانهم يعلمونهم الكتاب الكريم، وحديث الرسول العظيم، والآداب الإسلامية؛ فقد حكى العالم المغربي غياث بن شبيب في سنة 78 هـ، قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ يُمُرُّ علينا ونحن غلمة بالكتّاب، فيسلم علينا وعليه عمامة أرخاها من خلفه(23).

يقول ابن عساكر: إن إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي الذي كان يؤدّب أولاد الخليفة عبد الملك بن مروان قد استعمله على إفريقية في سنة مائة للهجرة(24).

ولا شك في أن هذا الأمير المُعَلِّم لما تولّى إفريقية عني بالتعليم فيها، كما عني بنشر الكتاتيب ودور العلم بين سكان تلك البلاد، خصوصاً إذا علمنا أن عامة أمم البربر قد أسلمت على يديه في أيام عمر بن عبد العزيز، وهو الذي علم أهل إفريقية مباحث الحلال والحرام، وبعث معه عمر بن عبد العزيز عشرة من فقهاء التابعين وأهل العلم والفضل ليُفَقِّهوا أهل إفريقية، ومنهم: عبد الرحمن بن نافع، وسعيد بن مسعود التجيبي، وغيرهما من فحول علماء التابعين.

وقد علق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب على هذا الخبر بقوله: ولو أردنا استقصاء مثل هذه الأخبار الواردة في خصوص عناية أسلافنا بالتعليم في الأجيال العربية الأولى لطال بنا الحديث ... ولم يزل شأن الكتاتيب في نمو، وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة، وفي المدن الإفريقية الكبيرة، حتى لم يخل منها ذرّب من الدروب أو حَيٍّ من الأحياء ... ولا عجب إذا اعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات للمساجد وتوابع لها، بل إنها وُجِدَت أيضاً في دور الأعيان والأغنياء، وبالأحرى في قصور الوزراء والأمراء ... (25).

ومما لا جدال فيه أن تعليم القرآن الكريم في بلاد المغرب كان من آثار عمل عقبة بن نافع ؓ عندما فتح هذه البلاد سنة (62_63 هـ) _ وأراد العودة إلى المشرق _ حيث عيّن جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن وشعائر الإسلام، وجعل على رأسهم شاعر بن عبد الله الأزدي. صاحب الرباط المشهور، على مراحل من مراكش (55 كم).

ولما ارتد البربر _ وجاء موسى بن نصير لفتح المغرب من جديد _ كانت الركيزة الأولى لسياسته الرشيدة: تعليم القرآن، ونشر الوعي الإسلامي في سائر الطبقات؛ وقد اختار من جنده بضعة عشر رجلاً من الفقهاء القراء، وندبهم إلى سائر الجهات ينشرون تعاليم الإسلام، ويشيعون بين الناس حب القرآن والتشبث بأهدابه؛ وقد نجحت هذه السياسة أيما نجاح، فلم تمض غير فترة قصيرة حتى رسخت العقيدة في النفوس، وتوطدت أركان الإسلام، ورفرفت راية القرآن بربوع أفريقية عالية.

وتذكر بعض الروايات أن ابن زرعة _ دفين سبتة _ هو الذي أدخل تعليم القرآن إلى المغرب، وهي رواية يكتنفها كثير من الغموض، فلا ندري من هو ابن زرعة هذا؟ ولا في أي عهد كان؟ وكل ما قيل عنه: إنه كان على جانب عظيم من الفضل

(23) ينظر: الدَّبَّاع، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، (1/151).

(24) ينظر: ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، (2/308)، (3/25).

(25) ابن سحنون، آداب المعلمين، (ص21).

والصلاح؛ والمحتمل أنه أحد السبعة عشر الذين ندبهم موسى بن نصير إلى هذه المهمة، وإنما نسب إليه هذا العمل لكونه رأس الجماعة، أو لأمر آخر نجهله.

وإذا جاز لنا أن نقول: إن شاكرًا _ صاحب عقبة _ هو الذي وضع الحجر الأساس للمدرسة القرآنية ببلاد المغرب، فإن هذا البناء لم يتم إلا على عهد موسى بن نصير؛ ... ولذا يعدُّ موسى بن نصير هو الفاتح الحقيقي لهذه البلاد، وفي عهده انتشرت الكتابات التي كانت بمثابة الحصون المنيعَة لكتاب الله، إلى جانب ما بُني من مساجد، وكانت مهمتها مزدوجة بين التعليم والعبادة، ولا يزال البعض منها قائم العَيْن، يحمل اسم موسى بن نصير، أو طارق بن زياد.

ثم جاءت بعثة عمر بن عبد العزيز التي كانت تتكون من عشرة فقهاء، فنزلت كالغيث الوابل على أرض أفريقية؛ فعززت هذه الحركة، وزادت في نمائها؛ وإذا لم يُقدَّر لأكثر رجال هذه البعثة أن يتجاوزوا حدود القيروان، فإن حملتهم المباركة تجاوزت كل الحدود، فكانت المنطلق الفكري والديني في أقطار المغرب العربي كلها، بل وفي أفريقية كلها⁽²⁶⁾.

ومما لا شكَّ فيه، أنَّ الكتابات القرآنية، والمدارس العتيقة بصفة عامة، مؤسسات شعبية أصيلة متجذرة في التاريخ المغربي، حافظت منذ ظهورها على اللغة العربية وآدابها، والعلوم الشرعية وخصائصها، وقد كان إحداث الكتابات القرآنية وبناء المدارس وتمويلها مثار تنافس بين القبائل المغربية، بحيث لن تجد قبيلة من دون مدرسة أو كتاب قرآني.

وتبرز الغايات والأهداف من إحداث هذا النوع من المؤسسات التعليمية، والعناية بها ورعايتها مادياً ومعنوياً، في تحفيظ كتاب الله العزيز، وتقوية طلبه العلم في أمور دينهم، وتلقينهم مختلف العلوم اللغوية والشرعية، باعتبارها إحدى دعائم المعرفة، ولما تشتمل عليه من فوائد علمية نافعة، وهي بذلك خير معين للنشء المسلم في الحفاظ على هُويته ولغته.

ويمكن تصنيف مؤسسات التعليم الأولي العتيق إلى صنفين هما:

1. المدارس القرآنية

2. الكتابات القرآنية.

أولاً: المدارس القرآنية:

تهتم المدارس القرآنية بالدرجة الأولى بتحفيظ القرآن الكريم حفظاً كاملاً، وإتقان رسمه وضبطه، مع الإلمام بقواعد اللغة العربية اعتماداً على بعض المؤلفات والشروح في الموضوع، كمتن الأجرومية بشرح الأزهري، ونظم ابن مالك بشرح ابن عقيل، وغيرهما، إضافة إلى تدريس مادتي العقيدة والفقه اعتماداً على نظم المرشد المعين لابن عاشر بشرح ميارة الصغير، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني بشرح أبي الحسن.

ويلج هذا النوع من المدارس الأطفال الذين يتجاوز عمرهم السنة الرابعة فما فوق، حيث يتم في البداية تعليمهم القراءة والكتابة بواسطة الألواح الخشبية على الطريقة الأصلية، حيث يشرعون على إثرها في حفظ كتاب الله العزيز، وذلك بكتابة السور القصيرة على الألواح، وحفظها خلال النهار، ومحوها في صباح اليوم التالي؛ لكتابة وحفظ غيرها، ويكون البدء بسورة الفاتحة، فسورة الناس، فسورة الفلق، ثم سورة الإخلاص، وهكذا إلى سورة البقرة، بعدها يقوم الطالب بكتابة ثمن، أو رُبع حزب من القرآن الكريم، حسب مقدراته على الحفظ والاستيعاب، ويكون البدء بسورة الفاتحة، فسورة البقرة، فسورة آل عمران، فسورة النساء، وهكذا إلى سورة الناس.

(26) أعراب، الفُراء والقراءات بالمغرب، (ص7_8)، بتصرف يسير.

وقد تستغرق مدة الحفظ ما بين ست إلى ثماني سنوات حسب اجتهاد الطالب، ومستوى ذكائه، بعدها يتفرغ لدراسة علوم اللغة العربية وآدابها؛ من نحو، وصرف، وعروض، وأدب، وبلاغة، وغيرها، إضافة إلى دراسة العلوم الشرعية؛ من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وعقيدة، وغيرها.

ثانياً: الكتابات القرآنية:

يتعلم التلميذ في مرحلة الكُتّاب حفظ القرآن الكريم بإشراف الفقيه "المدرّس"، ابتداءً من تعليم القراءة والكتابة، والتدريب على كتابة السور القصيرة في لوح من الخشب بقلم من القصب، يُمَحَى كُلمًا حفظ التلميذ درسًا؛ ليكتب فيه درسًا جديدًا، ويجلس الأطفال في الكُتّاب على حُصْرٍ مفروشة على ألواح خشبية، ويجلس المعلم أمامهم لمراقبتهم.

ويحفظ التلميذ على هذا النحو أجزاء من القرآن الكريم، إلى أن يتم حفظه، ويتعلم أثناء الدراسة شيئًا من الرسم القرآني، وتستغرق القراءة بالكُتّاب النهار كله إلى غروب الشمس، وجرت العادة بتمتع الأطفال بعطلة يوم الخميس، وصباح الجمعة، وأيام الأعياد.

ورغم انتشار المدارس والمؤسسات التعليمية الحديثة في البادية والحاضرة، إلا أنّ الكتابات القرآنية لا زالت تؤدي دورها في إطار التعليم الأولي، الذي يُعنى بتربية النشء التربية الصالحة، المبنية على الأخلاق الفاضلة والتعاليم الإسلامية، حيث تقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالإشراف على تسيير الكتابات القرآنية، وتطويرها لتعليم الأطفال المبادئ الأولية للقراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن الكريم، وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وحرصًا منها على استمرار هذا النوع من التعليم الأصيل وانتشاره، فإنها ترخّص لكل من يرغب من حفظة كتاب الله في فتح كُتّاب قرآني، سواء بالبادية، أو المدينة وفق شروط؛ وهي:

- أن يكون حاصلًا على شهادة حفظ القرآن الكريم.
 - صلاحية المحل المعد لذلك، بشهادة مُسَلِّمة من لدن المصالح الصّحّيّة المختصة بالإقليم.
- وتمنح هذه الوزارة سنويًا عددًا كبيرًا من رُخص فتح الكتابات القرآنية، كما أنها تحتضن مجموعة مهمة منها⁽²⁷⁾.

المبحث الثاني: المحاضر الموريتانية التعريف والنشأة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية.

المحظرة أو "المحضرة" في اشتقاقها اللغوي: اسم مكان (مفعلة)، يحتمل معانٍ عديدة، لعل من أشهرها:

_ أن تكون مشتقة من فعل (حظر)، أي: منع، بوسيلة مادية، أو معنوية. فهي مادياً الحظيرة التي كثيراً ما كانت تحيط بخيمة شيخ المحضرة ومصلاه وعرائش طلبته لحمايتها من الحيوانات وغيرها. وتقام هذه الحظائر عادة فور حلول المخيم، بأي مكان جديد يتم النزول فيه.

_ أما من الناحية المعنوية: فقد يتصل هذا الاشتقاق بالحظر الذي يمارسه الشيخ على الطالب المحضري، بمنعه من التجوال داخل الحي، والاختلاط بأهله، والانغماس في مشاغلهم الدنيوية، وإلزامه بالإقامة في أعرشة الطلبة، والتفرغ للعلم؛ أو هو متأت من الهيبة والحماية الروحية التي يتمتع بها شيخ المحضرة، ومؤسسته، وحتى طلابه.

وتقتضي هذه الحماية حظر ارتكاب المخالفات بجرم المحضرة، وحماية من لجأ إليها، حتى يكون في مأمن من النهب والسلب، وغيرها من الممارسات التي كانت شائعة في المنطقة خلال القرون الماضية. وبالعودة إلى القواميس نجد لفظ: (احتظر بكذا) يعني: احتذى به⁽²⁸⁾.

(27) ينظر: حميتو، حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة، (1010/2 _ 1013).

وقد كانت المحاضرة منذ نشأتها ملجأ الخائف، وملاد المستضعف، من غارات النهّابين والظلمة.

_ أن تكون مشتقة من فعل (حضر)، أي: مكان حضور المحاضرة، وقد يكون هذا الحضور كذلك مادياً أو معنوياً، فهو مادي لأن الطالب يحضر بجسمه محاضرة الأستاذ، ومعنوي، لأن فيه تجرداً من الدنيا وهمومها، وإقبالاً على التعلّم والتعليم خالصاً لوجه الله تعالى.

ويدعم هذا الاشتقاق الأخير ورود كلمة (محاضرة) في بعض كتب التراث العربي الإسلامي، الدالة على معنى المدرسة، مثل ما هو الشأن في رحلة ابن جبير⁽²⁹⁾، ومعيار الونشريسي⁽³⁰⁾، وقد كان هذا الانسلاخ عن مشاغل الحياة الدنيا والحضور المادي والمعنوي للعلم الشرعي لصيقاً بالمقصد من وراء إقامة التعليم الديني أصلاً بهذا "المنكب البرزخي"⁽³¹⁾.
ولفظه (المحاضرة) بالضاد، القاصرة، كلمة عربية أصيلة معروفة في الجاهلية قبل الإسلام.

ثم أطلق هذا المسمى على المدرسة التي تُعَلِّم القرآن، ثم أصبحت هذه المحاضرة عبارة عن كُتّاب (مدرسة لتعليم القرآن)، واستخدمت في هذا المعنى في كتاب المعيار للونشريسي، حيث أطلق كلمة المحاضرة على المدرسة القرآنية، ثم توسّعت فأصبحت مُرَكَّباً علمياً ثقافياً تجد فيه أطفال الروضة، ورجال مرحلة التخصص، والدكتوراه، بمعنى كونها جامعة⁽³²⁾.

والمحاضرة في الاصطلاح المحلي: "مؤسسة دراسية تقليدية، جامعة لشتات المعارف، قد تتسع دلالتها لتشمل كتابات القرآن، ولكنها تنصرف غالباً في الاصطلاح إلى المدارس التي يتلقى فيها الطلبة مختلف المعارف الأخرى تدرجاً من المستوى الابتدائي، وصولاً إلى المستوى الجامعي"، أو هي باختصار: "جامعة شعبية بدوية متقلبة تلقينية فردية التعليم طوعية الممارسة"⁽³³⁾.

وهذا التعريف من أكثر التعريفات دقة وشمولاً؛ لاحتوائه على أهم سمات المحاضرة وخصائصها.

لقد كانت المحاضر الموريتانية وما زالت تقوم بنفس الدور الذي تقوم به الجامعات والمعاهد والمدارس الدينية الحديثة، حيث يتوافد عليها التلاميذ من بداية السنة الخامسة من العمر، ليستقبلهم أحد شيوخ الحيّ متطوعاً لتعليمهم ابتغاءً لأجر الله، وتبدأ المرحلة الابتدائية في المحاضرة بكتابة الحروف الأبجدية في لوح خشبي مصمم لذلك الغرض، تسطر عليه الحروف بمدادٍ يجّهز من ماء مخلوط بفحم وصمغ، يضمن بقاء الدرس فترة طويلة عليه.

وبعد إتقان تَهَجِيَةِ الحروف، ينتقل الطالب لكتابة القرآن وحفظه بدءاً بقصار السور، وفي بعض المحاضر الموريتانية يبدأ الطالب بالنحو والشعر حتى تستقيم قراءته قبل الشروع في كتابة القرآن، وتقدم للطالب عند حفظه للكتاب العزيز التهاني الخاصة، وتخضب يده بالحناء احتقلاً وتكريماً له، ليتابع بعد ذلك دراسة علوم القرآن، وفروض العين؛ من عقيدة، وفقه، بموازة علوم الآلة التي يطلقونها على النحو، والصرف، واللغة، والبيان، والمنطق، ومبادئ الحساب، ثم يتوسع الطالب بعد ذلك في دراسة تلك الفنون، حتى يتخرج بإجازة من شيخ المحاضرة، تمكّنه من التدريس والإمامة وتولي القضاء بين الناس.

المطلب الثاني: النشأة.

⁽²⁸⁾ مصطفى، المعجم الوسيط، (183/1)، مادة (حظر).

⁽²⁹⁾ ابن جبير، الرحلة. الكلمة (محاضرة) منثورة في ثنايا الكتاب لا سيما عند حديثه عن المساجد والمدارس في بغداد، (ص204) وما بعدها.

⁽³⁰⁾ الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، (156/7).

⁽³¹⁾ إحدى التسميات التي عرفت بها البلاد الموريتانية، دلالة على توسطها بين المجتمعات ذات التنظيم المركزي شمال وجنوب الصحراء.

⁽³²⁾ المحاضرة الموريتانية وطرق التدريس بها: 2 El Mahdara <https://www.youtube.com/> بتصرف.

⁽³³⁾ النحوي، بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، (ص190).

تعود نشأة "المحاضر" في موريتانيا إلى أواسط القرن الثاني الهجري، عندما دخل الإسلام هذه البلاد، واستقر بها، واعتقه أهلها. ومنذ أكثر من ألف سنة عندما تأسست دولة المرابطين في شمال إفريقيا، والتي أقام زعيمها الديني عبد الله بن ياسين الجزولي، رفقة القائد الممتوني يحيى بن إبراهيم أول رباط ديني وثقافي في الجنوب الغربي لموريتانيا الحالية، قرب شاطئ المحيط الأطلسي في القرن الخامس الهجري، ومع توطد أركان الإسلام في بلاد شنقيط، وانتشاره في منطقة غرب إفريقيا عموماً، بدأت مؤسسة "المحضرة" تلعب دورها الديني والتعليمي بشكل بارز بين القبائل الموريتانية، وخصوصاً قبائل "الزوايا" التي كانت تتحمل مسؤولية التعلم والتعليم في المنطقة، ومعها تعزز دور ما عرف "بالمحاضر".

وقد جسدت هذه المؤسسة نموذجاً للتكيف بين حياة البدو الرحل، واستمرار التعليم والتدريس، مما أنتج "الثقافة البدوية العالمية الوحيدة في العالم" كما يصفها بعضهم، وهي التي عرفتها بلاد شنقيط؛ موريتانيا الحالية⁽³⁴⁾.

المطلب الثالث: المسيرة التاريخية للمحضرة وتطورها.

يلاحظ المتتبع لتاريخ المحضرة الموريتانية أنها مرت بثلاثة أطوار؛ وهي:

الطور الأول: طور التأسيس والانتشار: ويبدأ بمقدم الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي (ت451هـ) إلى البلاد، حين أسس رباطاً يُعدُّ النواة الأولى للمحاضر باتفاق المؤرخين.

ويرجع بعض الباحثين بدايات المحضرة إلى الفتح الإسلامي في القرن الثاني الهجري، إلا أن هذه البدايات كانت مقتصرة على كتابت القرآن ولم تتجاوزها⁽³⁵⁾.

وبعد استشهاد ابن ياسين تولى مهمة التدريس العالمان: الإمام الحضرمي (ت489هـ)، والإمام إبراهيم الأموي (ت500هـ). وانتشر التعليم المحضري في المدن والحواضر حتى نهاية القرن العاشر الهجري، وخصوصاً في المدن التاريخية الأربع: شنقيط، ووادان، وتيشيت، وولاتة.

الطور الثاني: طور التنوع والازدهار: وبدأ بانتقال المحاضر إلى البادية وازدهارها فيها بعد تراجع العطاء العلمي للمدن التاريخية بسبب الحروب الأهلية. وتتابع هذا الازدهار منذ القرن الحادي عشر الهجري في البادية، ويعدُّ ظاهرة جديدة بالتأمل، يقول الدكتور أحمد بن حبيب الله: "إذا كان العلم صنعة لا يمكن أن تزدهر إلا في المدن والحواضر كالصناعات عامة حسب نظرية ابن خلدون الذي يوضح في مقدمته بأن التعليم إنما يكثرُ حيث يكثرُ العمران وتعمُّ الحضارة؛ وذلك لأنه صناعة، فإن الواقع الشنقيطي القديم والحديث قد قلب الأطروحة الخلدونية رأساً على عقب"⁽³⁶⁾.

ويمثل هذا الطور العصر الذهبي للمحضرة طوال مسيرتها التاريخية، حيث بلغت أوج ازدهارها في القرن الثالث عشر، ومطلع القرن الرابع عشر الهجري.

⁽³⁴⁾ محمد عبد الرحمن، «المحاضر» الموريتانية.. قلاع العلم الصامدة في أعماق الصحراء. مجلة الراية، الجمعة: 1431/10/2هـ _ الموافق

2010/9/10م، نواكشوط. <https://webcache.googleusercontent.com>

⁽³⁵⁾ محمد الحافظ ولد المجتبى، الحديث علومه وعلمائه في بلاد شنقيط، نواكشوط، (ص27).

⁽³⁶⁾ ابن حبيب الله، مقال (تطور النظام التربوي في المحاضر)، مجلة التعليم، العدد: 13، 2000م. (ص37).

الطور الثالث: طور التراجع والانحسار:

بدأ هذا الطور مع دخول الاحتلال الذي بدأ بمضايقة المحاضر بإنشاء المدارس الحديثة، فتأثرت المحاضر بذلك، بالرغم من مقاومة أهلها.

ومع مطلع الاستقلال عن الاحتلال الفرنسي، انتشرت المدارس الحكومية، وانصرف إليها كثير من أبناء الشعب.

ثم جاءت أزمة الجفاف والتصحر مع أوائل السبعينيات، فتأثرت المحاضر بها أكثر من غيرها، بسبب تنامي هجرة سكان البادية إلى المدن بحثاً عن العمل والعيش، بعد تأثر اقتصادهم البدوي بموجة الجفاف آنذاك⁽³⁷⁾.

غير أنه قد تأسست في العاصمة معاهد ومدارس يتبع بعضها منهجاً توفيقياً بين وسائل العصر ومناهجه، وروح المحاضرة وبرامجها.

ومنها: مدرسة العون، ومعاهد الفاروق، وابن عباس، وخالد، والمعاهد التابعة للتجمع الثقافي الإسلامي.

كما أسست الدولة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.

ويوجد اهتمام متجدد بإحياء زوايا ثقافية تراثية، منها على سبيل المثال: زاوية الشيخ سيدي المختار الكنتي، وزاوية الشيخ محمد المامي، وغيرهما.

المبحث الثالث: المنهج التربوي للمحاضرة: وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المقررات الدراسية وترتيبها.

يصنف العلامة المختار ولد حامد (ت1414هـ) معارف المحاضرة مرتبةً وفق ما يلي⁽³⁸⁾:

الدرجة الأولى: القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والتصوف، والسيرة، والغزوات، وفتوحات الصحابة وأنسابهم.

الدرجة الثانية: اللغة، والنحو، وعلم البلاغة، والعروض، وأنساب العرب وأيامهم.

الدرجة الثالثة: المنطق، والتاريخ، والجغرافية، والحساب، والفلك، والهندسة.

وتختلف المحاضر في ترتيب المعارف حسب الجهات؛ فبعض المحاضر تبدأ بالفنون اللغوية، ثم العقائد، ثم الفقه.

أما محاضر شرق البلاد ووسطها فتبدأ بالفقه أولاً؛ (الأخضري، ثم ابن عاشر، ثم الرسالة، ثم مختصر خليل).

بيد أن مناهج الدراسة تتركز في ثلاثة فنون رئيسية، لا تخلو منها محاضرة، وهي: الفقه، واللغة، والنحو. وقد تزيد عليها بعض

المحاضر فنوناً أخرى؛ كالتفسير، والحديث، والسيرة. وأشهر الكتب المتداولة في الفقه: مختصر خليل، وهو المعتمد عليه في الفقه

والفُتُيا، ويليه في الأهمية: ألفية ابن مالك في النحو، وفي اللغة تأتي المعلقات والدواوين الشعرية: (حسان بن ثابت، وغيلان ذو

الرمة..) في المقدمة.

المطلب الثاني: الأهداف والوسائل التعليمية.

الأهداف: لم تكن المحاضرة مجرد مدرسة جامعة تُلقن المعارف فحسب، بل هي مدرسة للحياة، تُعنى بتكوين الطالب جسمياً وعقلياً

ونفسياً تكويناً متكاملًا. فهي تُعدُّ الشباب العَضَّ لمواجهة الحياة الخشنة في البادية والصحراء، حتى إذا خرج منها عاد إلى أهله

جاهزاً لمواجهة أعباء الحياة⁽³⁹⁾.

⁽³⁷⁾ ينظر: محمد الحافظ ولد المجتبي، (ص514)، باختصار.

⁽³⁸⁾ ولد يحيى ولد الدو، محاضرة يحظيه ولد عبد الوند، (ص20)، مذكرة تخرج، المدرسة العليا لتكوين الأساتذة والمفتشين، 1984_1985م.

والطالب عادة يتوجه إلى المحاضرة، ولا همَّ له إلا التعلم والتفقه في الدين، وليس الشهرة أو المنصب أو المتعة المادية. الوسائل التعليمية: ويقصد بها كل ما يستعان به لتيسير عملية التعلُّم على الطالب(40).

والوسائل في التعليم المحضري تقتصر على أدوات الكتابة والتعلم، وهي عديدة، من أشهرها: اللوح، ويصنع من الخشب المحلي، وتكتب عليه الدروس، ويفضلونه على الورق في التعلم. وقد ارتبط اللوح بالمحاضرة ارتباطاً وثيقاً، وكان له نصيب من الأدب المحضري.

وما زال يستخدم اللوح في المحاضر إلى يومنا هذا، تبركاً به، لقول الله تعالى لنبيه موسى: (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمُرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) [الأعراف: 145]، وقوله تعالى: (أَخَذَ الْأَلْوَابِ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) [الأعراف: 154]. وقد حلَّ محلُّه الورق في كثير من المحاضر اليوم، وقد جاء متأخرًا، وهو يُستورد من الخارج، ويستعمل للاستساخ والتدوين والتصنيف.

القلم، ويصنع من أعواد الثمام، أو الجريد، ويُبْرَى ويُشَقُّ رأسه لتسهيل انسياب الحبر منه. ويستعمل للكتابة على اللوح وعلى الورق أيضًا.

الحبر، ويصنع من أخلاطٍ محلية، ويتوفر بألوان مختلفة منها: الأسود، وهو أكثرها استعمالاً، والأحمر، وأكثر ما يُستعمل في التوشيح والتطريز، والأخضر، وهو قليل الاستعمال.

الكتاب بدلاً من اللوح، وكان نادرًا وغالي الثمن، وقد دخلت الكتب إلى البلاد عن طريق الرحلات العلمية ورحلات الحج. واشتهرت بعض الأسر العلمية باقتناء الكتب، كذلك اشتهرت مدنٌ مثل (شنقيط) و(ولاته) بكثرة مكتباتها، كما تم استساخ الكثير منها يدويًا(41).

الممحاة، ويستخدم مكانها الماء مع قطعة من القماش في غسل الألواح.

حافظة الأقلام، وهي التي يجمع فيها أدوات التعلم.

الصمغ، ويمزج بعد إذابته مع الفحم، أو مع المادة التي يصنع منها الحبر، ويستخدم كذلك في ضم الأوراق إلى بعضها، أو لصقها.

المطلب الثالث: أساليب وطرق التدريس، وكيفية تحصيل الطلاب.

الزمن: يبدأ وقت الدراسة من الصباح حتى الليل في أغلب الأحيان، تبعًا لكثرة الطلاب وازدحام المحاضرة بهم. وتختلف طريقة التدريس من محاضرة إلى أخرى، والغالب أن يتبع الشيخ إحدى ثلاث طرائق هي:

1- تقسيم ساعات النهار على المواد الدراسية حسب أهميتها.

2- التدريس الجماعي أو الرُمزي: ويدعى محلياً بـ"الدولة"، وهو مجموعة من الطلاب يشتركون في وحدة الفن والنص.

3- استقبال الطلاب حسب الأسبقية في المجيء (نظام الأول فالذي يليه).

(39) النحوي، بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، (ص136).

(40) أبو الفتوح، علم التربية: المناهج وطرق التدريس، (ص131).

(41) ينظر: النحوي، بلاد شنقيط.. المنارة والرباط، (ص147_155).

أما طريقة التدريس؛ فلا توجد كيفية معينة تضبط الهيئة التي يُدرّس عليها الشيخ. فالشيخ كما يقول أحمد بن الأمين الشنقيطي (ت1331هـ) في الوسيط: "يُدرّس مرةً ماشياً مسرعاً، ومرةً جالساً في بيته، ومرةً في المسجد، وفيهم من يُدرّس في أثناء الارتحال"⁽⁴²⁾.

أما خطوات تحصيل الدرس؛ فإن كل طالب يتبع في دراسته تسلسلاً معيناً: فهو يكتب النص على اللوح الخشبي، ثم يقرأه على "المربط" للإجازة، ثم يُقبل على قراءة النص بالتكرار حتى يحفظه، ثم يقرأه على "المربط" غيباً واستظهاراً من ذاكرته، ثم يعود لقراءته مجزأً (جملةً جملةً أو بيتاً بيتاً، حسب نوع الفن) والشيخ يتولى الشرح في أثناء ذلك. ولا يبقى بعد هذه المراحل إلا التكرار لترسيخ المعلومات في الذهن⁽⁴³⁾.

المطلب الرابع: المبادئ التي تضبط التدريس⁽⁴⁴⁾.

تتضح أهم المبادئ الضابطة لعملية التدريس في المحاضرة في ما يلي:

التدرج: وهو الالتزام بالتسلسل الطبيعي في دراسة المتون، فيبدؤون بالمتون السهلة، وينتقلون إلى المتون الصعبة؛ ففي الفقه: (الأخضري، ثم ابن عاشر، ثم الرسالة، ثم المختصر). وفي النحو: (الأجرومية، فنظم عبيد ربه، فالألفية). وعكسه التنكيس.

وحدة المتن واستيفاءه: حيث يحظر على الطالب الاشتغال بأكثر من فن من العلوم في آن واحد.

تقليل الحصة الدراسية لتمكين الطالب من الاستيعاب: مثاله تقسيم المختصر إلى "أقفاف" أي حصص صغيرة معروفة.

إعادة دراسة المتن بعد استيفائه أكثر من مرة؛ لتقوية الحفظ، وزيادة استيعاب المادة العلمية.

اعتماد الطريقة التلقينية في توصيل المعلومات، كما يقال: "العلم يُؤخذ من أفواه الرجال، لا من بطون الكتب".

المطلب الخامس: التقويم. يختلف نظام التقويم في المحاضرة عنه في المدارس والجامعات الحديثة. ومع ذلك فالتقويم عملية مستمرة في رحاب المحاضرة، وتؤدي إلى نتائجها بكفاءة. ويتخذ هذا التقويم نمطين؛ هما⁽⁴⁵⁾:

1- التقويم التكويني: وهو التقويم المستمر السائد في المحاضرة؛ ومن أشكاله:

التقويم الذاتي الزمري: وهو ظاهرة تنفرد بها المحاضر، وتأخذ طابع الألغاز والمساجلات وهي تمرينات يختبر بها الطلاب بعضهم بعضاً⁽⁴⁶⁾، ويطلع الشيخ عادةً على سير هذا التقويم للاستفادة منه في رصد مستويات الطلبة.

اختبار القافلة: وهو أن يتعرض الطلاب للقوافل، ويطلبوا من علمائها اختبار مستوياتهم العلمية، فيمتحنهم هؤلاء، فإن نجحوا في ذلك استحقوا مكافأة.

2- التقويم النهائي: وهو لا يتخذ شكل امتحان أو اختبار، وإنما يبني الشيخ تقويمه النهائي للطلاب على أدائه في سلسلة

الاختبارات التكوينية التي خاضها في أثناء دراسته، ويجسد الشيخ قراره بمنح الإجازة بناءً على هذا التقويم. والإجازة نوعان:

⁽⁴²⁾ الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، (ص519).

⁽⁴³⁾ النحوي، بلاد شنقيط.. المنارة والرياط، (ص174)، مصدر سابق.

⁽⁴⁴⁾ نفس المرجع، (ص269).

⁽⁴⁵⁾ ولد محمد مختار، مجلة التعليم، العدد: 28، السنة: 1418هـ، (مقال) نظم التقويم في المؤسسات التقليدية، (ص42_45)، بتصرف.

⁽⁴⁶⁾ مثال ذلك: في كم موضع ذكرت لفظة "يا أيّه" في القرآن الكريم؟ وهكذا في بقية العلوم.

_ **إجازة مقيدة:** وتختص بفن واحد كالنحو، أو الحديث. ويلزم فيها إثبات سلسلة رجال السند الذين أخذ عنهم.
_ **إجازة مطلقة:** ولا تمنح إلا لأفراد قليلين من النابهين الذين استكملوا جميع العلوم المدروسة في المحاضرة، وأخذوا كل ما عند الشيخ، وعادة ما يؤسس هؤلاء محاضر جديدة في أحيائهم.

المطلب السادس: مميزات المنهج.

يلتقي المنهج التربوي للمحاضرة في بعض مبادئه مع قواعد التربية الحديثة، ويمتاز عنها بما يلي:
_ **الحرية:** طلاب المحاضرة أحرارٌ في اختيار الفن المدروس، والمنهج، والمدة التي يقضونها، بل في المعلم (إن كان في المحاضرة أكثر من شيخ).

_ **المساواة:** يحق لكل شخص الالتحاق بالمحاضرة، بغض النظر عن عمره أو بيئته الاجتماعية. والطلاب سواسية، فمعيار التميز عندهم هو التفوق المعرفي فقط.

_ **الموسوعية:** فالمحاضرة جامعة موسوعية، يتلقى فيها الطالب المعارف والفنون المختلفة.

_ **المجانية:** المحاضرة لا تأخذ رسومًا من طلابها، فالطالب الموسر ينفق على نفسه، أما المعسرُ فينفق عليه الشيخ، أو زملاؤه، أو أهل الحي (47).

المطلب السابع: ما يؤخذ على مناهج المحاضر في الوقت الراهن.

لا يخلو أي نظام بشري من بعض النواقص، ومن ذلك النظام المحضري. وأغلب النواقص فيه ناجمة عن مؤثرات خارجة عن المحاضرة، مثل: البداوة، وضعف الوسائل التعليمية، وقساوة الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

ومن النواقص ما يتعلق بالمحتويات، ومنها ما يتعلق بالتدريس، وأهمها:

إهمال الدراسات المتعلقة بالتفسير والحديث، لغلبة تقليد المذهب المالكي، والاستدلال بفروعه من خلال نصوص خليل. أما قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف فكانت غالبًا للتبرك لا للاستنباط والتدليل، والاقتصار في الفقه على دراسة المذهب المالكي، وإهمال المذاهب الأخرى. ولعل ذلك يعود إلى انتشار المذهب المالكي وسيادته المطلقة دون غيره من المذاهب، وغياب المواد العلمية والرياضية في برنامج المحاضرة الدراسي، لعدم الحاجة إليها في المجتمع البدوي.

يعلل الأستاذ محمد المختار بن أباه ذلك بقوله: "وطبيعة البلاد تفسر هذه الظاهرة، فحياة البادية لا تحتاج إلى صناعة وهندسة، ويكفيها من الحساب ما يُستعان به في قسمة الفرائض على أهل السهام⁽⁴⁸⁾، والإكثار من الاستطراد في الشرح؛ وهو غالبًا ما ينقل الطالب من فنه إلى متاهات الفنون الأخرى، وحشو ذهن الطالب بالمعلومات؛ وقد يؤدي ذلك إلى تشتت في ذهنه، وضعف في استيعابه للمادة العلمية، وعدم العناية غالبًا بلغة التدريس، والإدعان التأم، في الأغلب، للوثيقة المكتوبة وإعطاؤها قدسية تحول دون نقدها، وندرة التأليف والتركيز على الشروح، وعلى عقد النصوص النظرية بالنظم، والتسرّع أحيانًا، وعدم النسبية في رؤية المسائل التي تحتل عدة أوجه⁽⁴⁹⁾.

(47) ابن بيه، محاضرة بعنوان: المحاضر؛ مكانتها التاريخية ودورها المستقبلي المطلوب، أبحاث الملتقى الدولي لتراث موريتانيا _ نواكشوط، 1999م،

محاضرة مسموعة ومفرغ نصها على الرابط: <http://bin bayyah.net/arabic/archives/3898>

(48) المختار بن أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، (ص 27).

(49) أمين محمود محمد، المحاضر الموريتانية: مؤسسات لنقل المعارف" بحث منشور على شبكة الإنترنت 2016م، (ص 47_70)، ردمك: 05_3-

978-9931-598 | <https://ouvrages.crasc.dz/index.php> بتصرف.

هذه هي أهم النواقص _ السلبيات _ الشائعة مع وجود استثناءات في بعض المحاضر. ويُحَظ قلةُ السلبيات بالنسبة إلى المزايا والفضائل التي يمتاز بها التعليم المحضري.

يمكن علاج النواقص _ السلبيات _ التي سببها المؤثرات الخارجة عن المحاضرة في نقل المحاضرة إلى المدينة، أو تحسين أحوال المحاضر في البوادي والعمل على تطويرها من حيث البناء ومدِّ الطرق الممهدة إليها وربطها بالمدينة، وإمدادها بالوسائل التعليمية الحديثة، وتحسين الظروف الاقتصادية ومعالجة الخلل الموجود في المجال الاجتماعي عن طريق أهل التخصص من العلماء، والاهتمام بالبادية وتطوير مؤسساتها التعليمية.. وقديماً قيل: "كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبه".

المبحث الرابع: مشكلات المحاضر في موريتانيا وكيفية معالجتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: واقع مشكلات المحاضر.

يتحدث ولد ميمين عن واقع مشكلات المحاضر في موريتانيا في الوقت الراهن، وتراجع دورها الثقافي قائلًا: إذا كان العدد الإجمالي للمحاضر الموريتانية في هذا الوقت حسب آخر إحصاء لوزارة الشؤون الإسلامية يقدر بـ (7000) محاضرة، فإن هذه المؤسسات التعليمية الأصلية، تعاني جملة من المشاكل، جعلتها غير قادرة على النهوض، وأداء دورها الحضاري المعهود، فالدولة لم تستطع حتى الآن تنظيم هذه المؤسسات المحضرية، وضبطها، وتنظيم مناهجها التعليمية، حتى تستطيع تقديم الدعم لها، بل إن ما كان يحصل عليه شيخ المحاضرة الواحدة من الدولة الموريتانية لا يتجاوز (3000) أوقية، أي أقل من (15) دولارًا للسنة، وهو مبلغ لا يساوي أي شيء، وقد وصلت تلك المساعدات السنوية (15000) أوقية، وهو ما يزيد قليلاً على (50) دولارًا، أما المحاضر المركزية الكبيرة؛ مثل محاضرة الشيخ بداه ولد البوصيري "أول مفتي رسمي" لموريتانيا، وإمام مسجدها الجامع، فتحصل على (150) ألف أوقية (600) دولارًا سنويًا، غير أنه وعلى العموم تبقى هذه المبالغ زهيدة، ولا تساوي شيئاً بالمقارنة مع جهود المحاضرة ومكانتها، حيث يصل طلاب بعض المحاضر المئات أحياناً، لكن بفضل الله تبارك وتعالى تستمد المحاضرة قوة صمودها من القرآن العظيم، وتمسكها بالمنهج الإسلامي الأصيل.

أمَّا عن وضع المحاضر اليوم فيقول ولد الزوين: إنها تعاني الكثير من الفوضوية وقلة التنظيم، حيث اختلط الحابل بالنابل كما يقولون، وأصبح كل من هَبَّ وَدَبَّ، أو كل من قرأ أجزاء من القرآن يستطيع فتح محاضرة، فهناك أشخاص غير معروفين، ولا يمتلكون الكفاءة والقدرة على تدريس القرآن، وغير مؤهلين أصلاً يدفعهم السعي للحصول على الرزق لامتحان هذه المهنة، دون أن يكونوا أهلاً لذلك.

وأضاف الشيخ محمد المصطفى: أن المحاضر تعاني من جانب آخر من إهمال الدولة، وعدم دعمها، بالرغم مما لعبته المحاضر الحقيقية عبر التاريخ الموريتاني، من دور مهم في نشر العلم، وإشاعته بين صفوف المجتمع الموريتاني، ونذكر من المحاضر بعد الاستقلال محاضرة أهل عدود، ومحاضرة اباه ولد محمد لمين، ومحاضرة بداه ولد البوصيري، وغيرهم كثير.

ويلقي الشريف ولد سيدي عبد الرحمن الضوء حول أوضاع المحاضرة، ومدى مواكبتها للمتغيرات، قائلًا: إن الوضع يختلف من محاضرة إلى محاضرة، فهناك محاضر عريقة، ومشهورة، مازالت تقاوم، وتستقطب الكثير من الطلاب سنويًا، حتى من خارج البلاد، حيث يأتيها الطلاب من دول غرب أفريقيا المسلمة، ومن بعض دول المغرب العربي، حتى إن بعض الأوروبيين والأمريكيين ممن يعتقدون الإسلام يأتون للدراسة في المحاضر الموريتانية، وخصوصاً في ولاية "ترارزة" و"تكانت"، ويشير ولد سيدي عبد الرحمن وهو خريج محاضرة مسجد الشرفاء بنواكشوط إلى أن الشناقطة كانوا يمتازون بميزة الحفظ، وقوة الذاكرة، ومعرفة اللغة العربية

الفصحى، وكأنهم أهل هذه اللغة بالفطرة، مضيئاً أن ذلك قد يكون أحد أسباب ظهور نموذج المحاضرة، الذي هو عبارة عن مدرسة فريدة من نوعها في العالم⁽⁵⁰⁾.

المطلب الثاني: التحديات الأساسية التي تواجه المحاضر اليوم⁽⁵¹⁾.

لقد واجهت المحاضر على مدى تاريخها الطويل تحديات متنوعة، لعلَّ أبلغها تأثيراً على بنيتها وأدوارها عوامل؛ أهمها: أولاً: منافسة المدرسة الحديثة، فقد ظلت المحاضر لقرون عدة المسؤول الوحيد عن تنشئة الأجيال، وبالتالي عن صياغة المجتمع طبقاً لرؤية دينية، أطرها الفقه المالكي، والمعتقد الأشعري.

وفجأة ظهر التعليم النظامي وإذاً جديداً تعززه آليات منهجية، ومضمون معرفي، لا عهد للتعليم المحضري بهما. وإذا كانت المحاضرة _ بفضل قدرتها التعبوية، ومصداقيتها لدى العامة، بوصفها الناطق الرسمي باسم الشرع _ قد استطاعت أن تنثني غالبية السكان عن ارتياد المدرسة النظامية في العهد الاستعماري، باعتبارها مدرسة النصارى؛ لغةً ومحتوىً، فإنَّ التعليم الرسمي قد عرف قفزة مهمة في ظل دولة الاستقلال، وبدأ يفرض نفسه على شرائح واسعة من الوسط الاجتماعي الخاص عادة بالمحاضرة مبعداً أعداداً متزايدة من الشباب عن ارتياد هذه المؤسسة تحت تأثيرات إغراء المدينة، والبحث عن بدائل لتوفير العيش الكريم، بعد أن تخلخت قاعدة الاقتصاد الريفي بفعل الجفاف.

ثانياً: الجفاف: لا شك أنَّ الجفاف الذي ضرب المنطقة منذ سبعينيات القرن المنصرم _ بما شكله من خلخلة للبنية الاقتصادية، ومنظومة العلاقات الاجتماعية والقيمية _ كان شديد الوطأة على المدارس الأهلية، التي هي بالأساس مؤسسات بدوية، تنتشر أساساً في الأحياء والتجمعات الريفية، وتعتمد بالتالي على تربية المواشي، وما تجود به من لبن ولحم وصوف، وعلى منتج زراعي مكمل، قليل في غالب الأحيان، جزاء اعتماد الزراعة على الأمطار غير المنتظمة، وتخلّف الأدوات والأساليب الزراعية. وقد تسبّب هذا الجفاف الذي أتى على الأخضر واليابس في نزوح مكتسح من الأرياف إلى المدن الكبرى التي عرفت _ جراء ذلك _ اكتظاظاً ديمغرافياً حاداً.

ثالثاً: الحاجة إلى الاكتتاب، وجدت الدولة الحديثة نفسها غداة الاستقلال أمام حاجيات كبيرة تستدعي إطاراً بشرياً قادراً على سدّها في مختلف الأجهزة الحكومية. وبدت المحاضرة جهة مرشحة لتوفير هذا الإطار. وهكذا انخرط المحضريون في مختلف قطاعات الدولة. وقد قاد تعريب التعليم والقضاء لاحقاً أعداداً كبيرة من الأطر المحضرية إلى قطاعات التعليم والعدالة والصحافة إلخ، فأصبحت موجات متزايدة من طلبة المحاضرة تهاجر باستمرار إلى المدن، لتجرب حظّها في الامتحانات والمسابقات الرسمية، باحثة عن وظيفة ثابتة.

ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الوضع على المحاضرة التي باتت تفقد وبشكل مستمر نسبة كبيرة من منتسبيها، قبل أن يكملوا تعليمهم المحضري ليؤسّسوا محاضر جديدة، كما كان لم يحدث لو أنَّ الأمور جرت على ما كانت تجري عليه.

رابعاً: تغيير النظرة إلى التعليم، لقد كان لتغيير القيم دور لا يمكن تجاهله، إذ لم يعد الطالب يتعلّم لوجه الله، أو سعياً إلى تَبَوُّء مكانة اجتماعية مرموقة، كما كان في السابق، وإنما بات التفكير في التحصيل المادي، والبحث عن المنفعة المباشرة، والكسب السريع

⁽⁵⁰⁾ محمد عبد الرحمن، «المحاضر» الموريتانية.. قلاع العلم الصامدة في أعماق الصحراء. مجلة الراية، الجمعة 1431/10/2 هـ _ الموافق 2010/9/10م، نواكشوط. <https://webcache.googleusercontent.com>

⁽⁵¹⁾ ينظر: النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، الفصل الأول من الباب السادس: حاضِرُ المَخاضِرِ، (ص414_442).

أحد محركات وحوافز الطلبة. بل إن النزعة المنفعية استغللت لتطغى أحياناً على بعض شيوخ المحاضر أنفسهم، هذا مع بداية وجود منظمات وشركات أجنبية بدأت تغزو قطاعات الثقافة والتثقيف، حتى أصبح بعض "شيوخ" المحاضر الأعداء، الذين لا يتقنون القراءة ولا الكتابة، لا يتورعون عن استجداء العون لمحاضرهم الوهمية، من الهيئات والبلدان الأجنبية.

خامساً: انتشار وسائل الاتصال الحديثة، من الطبيعي أن تتأثر المدارس التقليدية بالتطورات الحاصلة على الصعيد الدولي. فالثورة التكنولوجية، والقفزة المذهلة في مجال الاتصالات والمواصلات؛ كل ذلك أدى إلى تعقد وتداخل نمط الحياة العصرية، وإلى تزايد وتعقد الاهتمامات والانشغالات، بشكل ربط المدن بالأرياف، وحد من عزلة هذه المناطق عن العالم الخارجي، كما حد من هدوئها، هذه العزلة وذلك الهدوء اللذان كانا من عوامل التحصيل المحضري المعتمد على الحفظ والاستظهار؛ فماذا بقي لهذا التعليم إذن من أدوار؟ وهل انتهت الحاجة إليه؟

المطلب الثالث: كيفية التغلب على العقبات⁽⁵²⁾.

إذا كانت العوائق التي تم الحديث عنها أعلاه _ من بين عوائق أخرى عديدة _ تبرز ما يواجهه التعليم الأهلي _ المحضري والكتّابي _ من تحديات جدية تمس مقومات وجوده الأساسية، فإن ذلك لا يعني أن هذا التعليم سيتخلى عن إسهامه في صياغة معارف الناس وسلوكهم في هذا الزمن العربي الصعب، بل إن التعليم المحضري بما أثر عنه من مرونة في الأدوات والأساليب، ما زال يحتفظ بمخزون ثري يؤهله لخدمة الأهداف الاستراتيجية العامة للدولة، في مجال التعليم ومحو الأمية. غير أن نجاح هذا النمط من التعليم _ وبقائه _ يبدو مرهوناً بقدرته على التجدد الذاتي معرفياً ومنهجياً.

ولكي يتسنى له ذلك يتعين عليه أن يستجيب لجملة من الضرورات، لعل من أكثرها إلحاحاً:

_ الموازنة بين الأصالة والمعاصرة؛ إذ تواجه المدرسة التقليدية رهناً صعباً يتمثل في: صيانة إرثها التاريخي، ومميزاتها الأساسية: (حرية المنهج، المساواة في طلب العلم، المجانية)، والمحافظة على الخصائص الثقافية، والقيم الدينية للأمة، والانفتاح على العصر والاندماج في مسار التنمية، والتعامل مع مستجدات الظرفية الدولية بموضوعية وتبصر ومرونة، ومراجعة المقررات، حيث بات التفكير في مراجعة المقررات والمناهج والوسائل التربوية مسألة ملحة، ربما يتوقف عليها مستقبل التعليم المحضري نفسه.

ويمكن أن تشمل هذه المراجعة من بين أمور أخرى؛ منها: العناية بمادة التاريخ الذي كان ينظر إليه تقليدياً على أنه "علم لا ينفع، وجهالة لا تضر"، والبحث عن صيغ ووسائل لدمج تدريس الحساب والعلوم واللغات الحية والمعلوماتية والتسيير والتربية؛ مواكبة للعصر، وانفتاحاً على ما يتجدد من معارف وتقنيات، ومراعاة متطلبات سوق العمل، والبحث عن الطرق الملائمة التي تعطي لخريجي المحاضر فرصاً أكثر للحصول على العمل، والمساهمة في عملية التنمية، ذلك أن التوازن التقليدي الذي كان يسمح باستيعاب غالبية هؤلاء الخريجين قد اختل، جراء التحولات الجديدة، وغدت المنافسة في سوق التشغيل أكثر حدة. ففرص العمل المتاحة باتت تتطلب كفاءات وتخصصات ذات مواصفات معينة.

وتجسداً لهذا المطلب، وتمشياً مع مراعاة الظروف الجديدة، أصبح من الملح الموازنة بين مقررات المحاضر، وحاجات الدولة، وذلك من أجل توفير المزيد من فرص العمل للخريجين، والحد من أعباء البطالة.

⁽⁵²⁾ ينظر: النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، الفصل الثاني من الباب السادس: آفاق المستقبل، (ص 443_474).

وهكذا ستمكّن المحاضر من أن توائم بين رسالتها التاريخية، ومهامها المستجدة، وتكون في المستقبل أداة من أدوات نشر ونقل المعرفة والتنمية، ووسيلة من وسائل توازن المجتمع، والمحافظة على القيم الإسلامية السمحة، بما تجسده من تآزر واعتدال ووسطية.

إنّ واقع الأمة الراهن، وما تتمتع به المحاضر من مصداقية لدى جميع الأوساط، يجعل المحاضرة اليوم من أهمّ الأطر المؤسسية، القادرة على بث ونقل المعارف، كما كانت بالأمس⁽⁵³⁾.

المبحث الخامس: مناهج تعليم القرآن الكريم في المملكة المغربية، وفيه خمسة مطالب: المطلب الأول: بداية دخول التلميذ (الكُتّاب).

ارتبط دخول التلميذ مرحلة الكُتّابِ بجملة من التقاليد الاجتماعية، والأعراف المحضرية تدل على مبلغ العناية به، ومراعاة مبدأ التدرج التربوي فيه، حتى تمضي الإجراءات المتعلقة به على وفق ما هو مرسوم ومتعارف عليه بشكل تلقائي، وبصورة تُمكنُ الطفل من الاندماج في بيئته الجديدة، وعدم الشعور بالخوف والرهبة من المحيطين به، في مواجهة هذا التحول، الذي يُعدُّ أول خطوات الطريق نحو الانفتاح على الحياة التعليمية بوجه عام، وفسح المجال لمواهبه، للتعبير عن ذاته وطاقتاه المخترنة⁽⁵⁴⁾.

وتلميذ الكُتّاب هو المحور الذي تدور عليه عملية التأديب والتعليم، وهو المقصود من إقامة هذه المؤسسة التعليمية والتربوية، ومن ثم فإن العناية به مطلوبة. وهذا ما عني به علماء الأمة وفقهاؤها، حيث كتبوا في ذلك الرسائل التربوية، وبيّنوا فيها المنهج العلمي الذي ينبغي انتهاجه، وأصدروا في ذلك الفتاوى المتعلقة بتأديبهم، وتعليمهم، وكيفية التعامل معهم عند حدوث أخطاء منهم، ووضحوا ما ينبغي أن يكون عليه المؤدّبون والمعلمون، ولم يدعوا مجالاً من مجالات حياة المتعلّم في هذه المرحلة العمرية (مرحلة الكُتّاب أو المحاضرة) إلا ولهم فيها قول، أو بيان، مما تشكّل معه فقه محضريّ واسع، يمكن أن نرى صوراً منه متنوعة من خلال مؤلفاتهم.

المطلب الثاني: المناهج التعليمية في هذه الفترة.

منذ نزول القرآن الكريم الذي أمرت أولى آياته بالقراءة والكتابة في قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: 1_5]. وقوله تعالى: (ن. وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [القلم: 1_2]. ارتبطت أوليات التعليم في الكتاتيب، وما يشابهها من مؤسسات تعليمية أخرى _ على اختلاف مُسمّياتها _ بأوليات الدعوة الإسلامية، وقد أكدت مناهج التعليم في هذه الفترة _ من القرن الأول حتى بداية القرن الثامن الهجري _ على أهمية تحفيظ القرآن الكريم، والعناية برسمه، وبيان قدسيته، وتعظيمه في نفوس الناشئة؛ _ ذلك أنه كتاب الدعوة الأول، ودستور هذه الأمة الخاتمة _ كما اهتمت بتعليم مبادئ الإسلام، وأركان الإيمان، وحفظ قدر من الحديث النبوي، وتعليم الصلاة، وبيان ما يتعلق بها من أحكام، والعناية بالخط العربي وتحسينه، وشيء من مبادئ الحساب والنحو، كل ذلك في حدود استطاعة التلميذ _ المتعلّم _ وعلى قدر استيعابه لما يُلقَى إليه من هذه العلوم. وكان التعليم _ في هذه الفترة _ تلقيناً شفويّاً، وكتابة في اللوح المخصص لذلك، بأدوات

⁽⁵³⁾ محمدو محمدن، "المحاضر الموريتانية: مؤسسات لنقل المعارف" بحث منشور على شبكة الإنترنت. 2016م، (ص70_47)، <https://ouvrages.crasc.dz/index.php>.

⁽⁵⁴⁾ حميتو، حياة الكُتّاب وأدبيات المحاضرة، (19/1)، (2/553_555).

ووسائل تعليمية بسيطة، مصنوعة من بيئة المتعلم. وكان هذا هو النمط الغالب والمنتشر في ربوع ديار الإسلام، على اختلاف طفيف فيما بينها، حسب الأعراف السائدة فيها، وطبيعة بيئتها.

ولما كان لعلماء الأمة في هذه الفترة آراؤهم _ من خلال ما كتبوا ودوّنوا _ في العملية التعليمية ووسائلها، كان لابن خلدون (732هـ_808هـ) = (1332م_1406م) رأيه كذلك، وهذه خلاصته، مع بيان موقفه من رأي ابن العربي ونظريته التربوية التعليمية.

في الفصل الحادي والثلاثين من مقدمته تحت عنوان: في تعليم الولدان، واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طُرُقهِ؛ يرى ابن خلدون أنَّ القرآن الكريم هو أصل التعليم للولدان في دول الإسلام؛ لأنه شعار الدين، وبه أخذ أهل الملة، وبه يترسخ الإيمان وتتقوى الملكات، حيث إنَّ التعليم في الصغر أشدُّ رسوخًا.

ويبين اختلاف طُرُق _ مناهج _ البلاد الإسلامية في تعليم الأولاد القرآن والعلوم الأخرى، باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من ملكات، فيذكر أنَّ أهل المغرب (ويقصد بهم: بلاد المغرب العربي؛ تونس، والجزائر والمملكة المغربية)، قد اقتصروا على تعليم القرآن فقط لأولادهم _ بنين وبنات _ دون غيره، حتى يحذق حفظ القرآن أو ينقطع، وينطبق ذلك عندهم على تعليم الكبار، وأما أهل الأندلس فلا يقتصرون على تعليم القرآن، ولأنهم يعتبرونه أصل الدين والعلم جعلوه أصلًا في التعليم؛ لذا يضيفون للأولاد مع القرآن رواية الشعر واللغة العربية وتجويد الخط، ويصل الولد إلى البلوغ والشباب، وقد تعلم طرفًا من العلوم العربية والأدبية، مما يكون له ذخيرة إذا انقطع عن التعليم.

أما أهل شمال أفريقيا فيخلطون في تعليم القرآن تعليم الأولاد الحديث وقوانين العلوم، إلا أن عنايتهم بالقرآن أكبر، وعنايتهم بتعليم الخط أكبر، تبعًا لذلك، وهم أقرب لطريقة أهل الأندلس.

أما أهل المشرق فهم يخلطون في التعليم بين القرآن وغيره، ويجعلون لتعليم الخط منهاجًا خاصًا؛ لأنه صناعة أكبر من أن يتعلمه الأطفال في الكتابيب.

ويرى ابن خلدون أن اقتصار أهل المغرب على تعليم الأطفال القرآن فقط جعلهم قاصرين عن ملكة اللغة العربية، لأنَّ البشر عاجزون عن الإتيان بمعجزة القرآن.

وأهل أفريقية أقل وأخف من أهل المغرب، حيث خلطوا تعليم القرآن بقوانين العلوم، إلا أنهم قاصرون في البلاغة.

وأما أهل الأندلس فقد أفادهم التفنن في التعليم والشعر واللغة حصولهم على الملكة في التفوق في اللسان العربي، مع تقصيرهم في سائر العلوم؛ لابتعادهم عن مدارس القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها، فكانوا أهل أدب بارع.

رأي ابن العربي في ترتيب التعليم، وتعقيب ابن خلدون عليه.

نادى القاضي الفقيه المالكي أبو بكر ابن العربي بتقديم العربية والشعر في التعليم للناشئة على ما عداها، ثم الحساب ثم القرآن، وذلك حتى لا يؤخذ الصبي بقراءة القرآن وهو لا يفهم ما يقرأ، ثم نصح بأن يتعلم الطالب أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الجدل، ثم الحديث وعلومه. ونهى عن أن يخلط في التعليم بين علمين، إلا إذا كان عقل التلميذ يقبل ذلك ويستوعبه.

واستحسن ابن خلدون رأي ابن العربي، واستدرك عليه بأن العوائد أي العادات، لا تساعد عليه، وهي المؤثرة في المجتمع، حيث اعتاد الناس البدء بدراسة القرآن تبركاً به، وتقوية لإيمان الطفل قبل البلوغ؛ لتكون له حصانة من الزيغ بعد البلوغ. وأكد ابن خلدون على أهمية الأخذ برأي ابن العربي (55).

المطلب الثالث: منهج تعليم التلاميذ في الكُتَّاب بالقيروان وإفريقيا قديماً.

وُجِدَتْ طريقتان لتعليم التلاميذ في الكُتَّاب بالقيروان ودول المغرب العربي، وفي بعض الدول الإفريقية، حيث كان التعليم درجتين: إحداهما التعليم الابتدائي، ويُسمَّى التأديب، ويُسمَّى مُعَلِّمه "المُؤَدِّب" و "المُكْتَب" ، وموضعه يُسمَّى "الكُتَّاب" وتلامذته "أبناء الكُتَّاب" أو "أبناء المُكْتَب" وهو التعليم الذي يتلقى فيه الصبي حروف الهجاء والكتابة تدريجياً، ويُلقَّن فيه سور القرآن الكريم القصيرة، وكانت لهم طريقتان في تعليم القرآن:

الطريقة الأولى: يبدأ التلميذ فيها بفاتحة الكتاب، فإذا أتقنها انتقل إلى سورة البقرة، فال عمران، حتى سورة الناس، على حسب ترتيب سور القرآن تنازلياً.

الطريقة الثانية: يبدأ التلميذ فيها بفاتحة الكتاب كذلك، فإذا أتقنها انتقل إلى سورة الناس، فالفلق، حتى سورة البقرة، على ترتيب سور القرآن تصاعدياً. وفي كلتا الطريقتين يبتدئ بفاتحة الكُتَّاب، وكان تعليم القرآن؛ إما بالكتابة في الألواح، وإما بالتلقين باللفظ. وتُسمَّى الكيفية الأولى (النظر)، والثانية (الظاهر)، أي: عن ظهر قلب. ويُعلِّم القرآن الغلمان والجواري، من دون اختلاط. قال سحنون: كانوا يعدُّون تعليم الجواري مع الغلمان فساداً، وكانوا يكتبون في الألواح بالمِدَاد، فإذا حفظ التلميذ ما كتبه مخاً ما في اللوح، وكتب فيه جزءاً آخر من الآيات، ثم إذا تَعَلَّمَ الصَّبِيُّ الكتابة صار يكتب من القرآن كلَّ يوم في لوحه مقداراً مناسباً، لقدرته إلى أن يجمع القرآن كاملاً (56).

وفي موضع آخر من كتابه يذكر أن درجات التعليم في تونس ثلاثة: ابتدائية، ومتوسطة، وعالية، وعن المرحلة الابتدائية يذكر أن مبدأها يكون في المكتب _ الكُتَّاب _ القرآني، حيث يتعلم التلميذ فيها القرآن والخط والقراءة، ورسم المصحف، وحفظ المتن (57).

المطلب الرابع: المنهج التعليمي المتَّبَع في المحاضر الموريتانية اليوم لتعليم القرآن الكريم.

تختلف المحاضرة عن الكُتَّاب، حيث لا يصل إليها إلا الطالب الذي تعلَّم القرآن الكريم، وأخذ من أولويات العلم بنصيب؛ ومن ثم يخطئ من يجعلها ماثلة للكُتَّاب. فالكُتَّاب في البلاد العربية مرحلة ابتدائية جداً بالنسبة للتعليم الموريتاني، مرحلة الطفل عندما يكون مع والدته أو جدته، أو عمته التي تعلمه مبادئ القراءة والكتابة.

وهكذا يَمُرُّ الطالب بمرحلة ابتدائية تحضيرية، تُعَدُّه لدخول المحاضرة، ويبدأ الطالب طريقه إلى المحاضرة عندما يكمل أربع سنوات، وأربعة أشهر، وأربعة أيام، أو إذا بلغ خمس سنوات (عادات مختلفة)، أو بمجرد ما يلمس فيه أهله الأهلية للدراسة، وهم يمتحنون الطفل عادة في سَرْدِ الأعداد الأولى من (1 إلى 10)، فإن نجح بدؤوا تعليمه، وغالباً ما تتولى النساء التعليم في هذه المرحلة، فيعلمن الطفل الحروف بالترتيب الهجائي التالي:

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س

(55) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، (ص537، 538، 539).

(56) ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، (ص44، 43)، بتصرف.

(57) نفس المرجع، (ص87)، بتصرف.

ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م
ن ه و لا ء ن ه ة ي ي

وذلك على اختلاف طفيف في الترتيب يقع في بعض المناطق، ثم يعودون إلى نفس الحروف يُمرِّنونَ الطفل على الشُّكْلِ (الحركات) ويُسمُّونَ الحركات: بَ بٍ بُ بْ فتحة، ضمّة، كسرة، نهمّة (سكون) وطائفة منهم تسميها: نَضْبَة، رَفْعَة، خَفْضَة، جَزْمَة. والكل فصيح.

ثم يُمرِّنونَهُ على الحركات مُشَبَّعَةً بالمَدِّ هكذا: بَا بُو بِي تَا ثُو تِي

ثم يعلمونه الحروف بالترتيب الأبجدي والأيقشي،
على التَّهَجِّي بتمييز الحركات. أَبْجَدْ، هُوَزْ، حَطِّي، كَلِمُنْ، صَعْفَضْ، قَرَسَتْ، نَخَذْ، طَغَشْ.
والأبجدية في المشرق العربي تختلف في ترتيب حروفها عن هذه، وهي كما يلي:
"أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضطغ".

أما الترتيب الأيقشي للحروف فهو: "إيقش، بكر، جلس، دمت، هنث، وصخ، زغد، حفظ، طضغ".

وبعدئذٍ يبدؤون تدريس الطفل القرآن الكريم، وكثيرًا ما يكون البدء بالسور القصار، وربما كتبوا له بيتًا، أو أبيات شعرٍ على اللوح في هذه المرحلة. والعادة أن ينهي الطفل دراسة القرآن في سنتين إلى ثلاث إن كان ذكيًا، فإذا مكث سنوات أو نحوها لم يكن ذلك أمانة نكاء.

وفي مرحلة الكُتَاب هذه يحفظ الطفل بعض مقتطفات الشعر، ويدرس أولياتٍ في النحو (كالأجرومية، أو عبيد ربه) والفقهِ (الأخضري) ونحو ذلك من المتون الصغيرة. فإذا استوفى حفظ القرآن، وأخذ مبادئ الدين واللغة، شدَّ الرِّحَال إلى المحضرة، ويكون الالتحاق بها عادة في سنِّ العاشرة (خصوصًا إن كانت المحضرة في حيِّ أهله) إلى الثانية عشرة⁽⁵⁸⁾.

المطلب الخامس: طريقة أهل المغرب اليوم في تعليم القرآن الكريم.

لا تختلف طريقة مؤسسات تعليم القرآن الكريم في المملكة المغربية اليوم _ كُتَاب أو محضرة _ عن هذا المنهج في عمومته، إلا ما نَدَرَ، وما زال القائمون على تعليم الناشئة للقرآن الكريم ينهجون هذا النهج، وإن اختلفت العادات والتقاليد السائدة في طريقة الحضور والتعامل مع تلاميذ الكُتَاب أو المحضرة؛ تبعًا لمقتضيات العصر، ومزاحمة المدارس النظامية الخاصة لإشراف الدولة. وهكذا تتضح طريقة التعليم، والمنهج المُتَّبَع، والوسائل المستخدمة فيه، والعوائق التي تواجه التعليم القرآني. لقد كانت الكتابات والمحاضر عبر التاريخ منارة للمعرفة، ومعقلًا للإسلام في مملكة المغرب وبلاد شنقيط؛ وقد انتشر إشعاعها الديني والمعرفي في هذه المنطقة، وأنجبت أعلامًا كان لهم حضور علمي كبير في داخل البلاد وخارجها، حتى وصف طه حسين أحد مخرجات هذه المحاضر، وهو العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركي (ت1322هـ) في كتابه "الأيام"، مشيرًا إلى هذه الفترة من حياة ابن التلاميذ قائلاً: "كان أولئك الطلبة الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قطَّ ضريبًا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللُّغة ورواية الحديث سنداً وامتناً عن ظهر قلب. وكانوا يذكرون أن له مكتبة غنية بالمخطوط والمطبوع في مصر وفي أوروبا، وأنه لم يقنع بهذه المكتبة، وإنما ينفق أكثر وقته في دار الكتب قارئًا، أو ناسخًا"⁽⁵⁹⁾.

⁽⁵⁸⁾ النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، (ص169_171).

⁽⁵⁹⁾ حسين، المجموعة الكاملة، المجلد الأول، الأيام، (ص343_344).

ويسير أحمد حسن الزيات في السياق نفسه، حين يذكر أنّ هذا الشنقيطي كان "آية من آيات الله في حفظ الحديث والأخبار والأمثال والأنساب، لا يتدّ عن ذهنه من كل أولئك نصّ ولا سندٌ ولا رواية"⁽⁶⁰⁾. ويرسم الزيات صورة لأستاذه الشنقيطي لا تخلو من دقّة فيقول: "إنّه هيكّل ضئيل، وبدن نحيل، ووجه ضامر، ولون أخضر، وصوت خفيض، فمن يراه، لأول مرة، لا يصدق أنّ هذا الجرم قد جاب البرّ والبحر، وطاف الشرق والغرب، وكافح الأنداد والخصوم، ووعى صدره الضيق معاجم اللّغة، وصاح السنّة، ودواوين الشعراء، وعلم الآداب"⁽⁶¹⁾. والفضل في ذلك بعد الله يعود إلى المنهج التربوي للمحظرة الموريتانية، وهو المنهج الذي يتسم بالمرونة، والتكامل، والتنوع، والثراء، شكلاً ومضموناً.

الخاتمة؛ وفيها: أهم النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد، فقد أسهمت مناهج التعليم القرآني في المملكة المغربية، وبلاد شنقيط بحظّ وافر في المحافظة على الهويّة الإسلامية والعربية بكل مقوماتها الحضارية، فحافظت على العقيدة بأركانها، وعلى القرآن الكريم _ مصدر هذه العقيدة _ حفظاً وتعليماً وتفسيراً، وعلى السنّة النبوية، متوناً وشروحاً. كما حافظت على اللغة العربية كتابة وإملاءً وقواعد ومتوناً وآداباً وشعرًا ونثرًا وزجلاً، وعلى التراث الفقهي المذهبي _ خاصة المذهب المالكي _ الأمر الذي حدّا بالمحتلّ الفرنسي لهذه البلاد إلى أن يقول في حقّ أهلها: " لا يمكن أن ينظروا إلى حضارتنا بعين الإعجاب"⁽⁶²⁾.

نعم نجح كل من المغاربة والشناقطة _ أيّما نجاح _ في إفشال مخططات المسخ والاستلاب الثقافي والحضاري الذي أراده، وعمل عليه المحتل الفرنسي.

وعلى كل غيور لأمّته وتراثها وإرثها الثقافي تقع _ اليوم _ مسؤولية تقويم المسار للتعليم القرآني، وإصلاح هذه المؤسسات التعليمية العتيقة لاستكناه مجاهل تاريخ هذه الأمة، أمانة للتاريخ وتثميناً للأجيال، ودفعاً لكل شبهة مُغرضة حول هذه المؤسسات التي كانت معالم الطريق لبناء الحضارة الإسلامية، والتي اهدت بها أوروبا في أحلك عصورها وعليها قامت نهضتها الحديثة.

وفي هذا الإطار تتدرج هذه الدراسة التي نقدمها مساهمة في الحفاظ على هذه الهويّة الإسلامية التي طغت عليها المادية المعاصرة بعولمتها الثقافية الهادرة، والتي تحاول جاهدة هدمها، ومن ثم يسهل عليها فرض هويتها الثقافية بلغتها وآدابها وتوجهاتها الفكرية، وعاداتها وأعرافها الاجتماعية، وهذا هو الغزو الثقافي _ الاحتلال البديل عن الاحتلال العسكري سابقاً _ وليت قومي يعلمون!!!

ومن جملة النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث:

- ✓ حفظ القرآن الكريم له الأثر البالغ في استقامة لسان النشء ولغته وبيانه، مع استقامة روحه وبنينه.
- ✓ اكتساب الطفل للقيم الخلقية والتربية في الكتاب والمحضرة وجعله قادرًا على التفاعل مع المستجدات اليومية.
- ✓ إمكانية الاستعانة بالكتاتيب والمحاضر في دعم الأهداف التربوية للمدرسة النظامية في المراحل الأولى من التعليم الأساسي؛ لتمكين المتعلم من اكتساب معارف لغوية ودينية، تساعد في مراحل التعليم.

⁽⁶⁰⁾ الزيات، "كيف عرفنا الشنقيطي"، مجلة الأزهر، المجلد 33، (ص391_395)، (ص392).

⁽⁶¹⁾ المرجع نفسه، (ص394).

⁽⁶²⁾ النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، (ص9).

✓ معاناة الكتاتيب والمحاضر من مشاكل متنوعة، جعلتها غير قادرة على النهوض لأداء دورها الحضاري المعهود، فالدولة الموريتانية _ تحديداً _ لم تستطع حتى الآن تنظيم هذه المؤسسات المحضرية، وضبطها، وتنظيم مناهجها التعليمية، حتى تستطيع تقديم الدعم لها، وذلك لسباب داخلية، وأخرى خارجية في مقدمتها الدول الغربية، وعلى رأسها فرنسا المحتل السابق.

ومن أهم التوصيات المقترحة:

- ✓ العمل على إعادة إحياء هذه المؤسسات، وبث روح الحياة فيها، وبعثها من جديد من خلال وسائل الإعلام المتنوعة، ومن خلال تشجيع أفراد المجتمع على إرسال أبنائهم للتعلّم في هذه المؤسسات العتيقة.
- ✓ العناية بالكتاتيب والمحاضر ورعايتها من قِبَل الجهات المسؤولة في الدولة، ومن مؤسسات المجتمع المدني.
- ✓ بناء برامج تعليمية للكتاتيب _ من قِبَل أهل التخصص _ تتعامل مع مجالات علمية وتربوية أخرى، تخدم كل الجوانب المتعلقة بالمتعلم (المجال العقلي، والوجداني، والبدني).
- ✓ الاهتمام بتكوين المُعلِّمين القائمين على هذه المهمة، خاصّة في جانب علم النفس التربوي، حتّى نفهم كيفية التعامل الصحيح مع فئة أعمار المتعلمين فيها.
- ✓ ضرورة اتّباع طرق التّدريس الحديثة، والاهتمام بالوسائل التعليمية والتكنولوجية الحديثة، لإثراء العمليّة التعليمية، توفيراً واستخداماً، لاسيما السّمعي منها على وجه الخصوص.
- ✓ إنشاء وقف إسلامي للإنفاق على هذه المؤسسات، لا سيما وأنّ جُلّها خاص، لا ترعاه الدولة، ولا توليه عناية مثل المؤسسات التعليمية الحكومية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- ابن أباه، محمد المختار، (1987م). *الشعر والشعراء في موريتانيا*، (د. ط)، تونس، الشركة التونسية للتوزيع.
- أعراب، سعيد، (1410هـ_1990م)، *القُرَاء والقراءات بالمغرب*، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (1375هـ)، *الأدب المفرد*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط2، القاهرة، المطبعة السلفية.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (2004م)، *صحيح البخاري*، (د. ط)، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.
- ابن بيه، عبد الله، (1999م)، محاضرة بعنوان: *(المحاضر مكائنها التاريخية ودورها المستقبلي المطلوب)*، أبحاث الملتقى الدولي لتراث موريتانيا، نواكشوط. محاضرة مسموعة ومفرغ نصها على الرابط: <http://binbayyah.net/arabic/archives/3898>
- ابن جبير، (1964م)، *الرحلة*، (د. ط)، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي، (1426هـ_2005م)، *المُدْهَش*، تحقيق: مروان قباني، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.

- ابن حبيب الله، أحمد، (2000م)، مقال *(تطور النظام التربوي في المحاضر)*، مجلة التعليم، العدد: (13).
- حسين، طه، (د. ت)، *المجموعة الكاملة، المجلد الأول، الأيام، ط2*، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- حميتو، عبد الهادي، (2006م)، *حياة الكُتاب وأدبيات المحاضرة، صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية*، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد الحضرمي، (1900م)، *المقدمة*، ط3، بيروت، المطبعة الأدبية.
- الدَّبَّاع، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، (1388هـ_1968م)، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، أكمله وعلّق عليه: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التَّنُوخي، تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، محمد ماضور، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، وتونس، مكتبة العتيقة.
- الدَّبَّاع، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، (1968م)، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، أكمله: أبو القاسم ابن عيسى بن ناجي التَّنُوخي، تعليق: إبراهيم شُبُوح، ط2، القاهرة، مطبعة الخانجي.
- الزِّيَّات، أحمد حسن، (د. ت)، *"كيف عرفت الشنقيطي"*، القاهرة، مجلة الأزهر، المجلد (33).
- الساعاتي، أمين، (10991م)، *تبسيط كتابة البحث العلمي*، ط1، الرياض، الشركة السعودية للنشر والتوزيع.
- السباعي، مصطفى، (1998م)، *من روائع حضارتنا*، ط1، دمشق، دار الوراق، المكتب الإسلامي.
- ابن سحنون، أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد، (1392هـ_1972م)، *آداب المعلمين*، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، (د. ط)، تونس، دار المنار.
- الشنقيطي، أحمد بن الأمين، (1991م)، *الوسيط في تراجم أدياء شنقيط*، (د. ط)، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1427هـ_2006م)، *أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، دراسة تاريخية وآراء إصلاحية*، ط1، القاهرة، دار السلام، وتونس، دار سحنون.
- عبد الرحمن، محمد، (الجمعة 10/2هـ _ الموافق: 2010/9/10م)، «المحاضر» الموريتانية، قلاع العلم الصامدة في أعماق الصحراء، نواكشوط، مجلة الراية. <https://webcache.googleusercontent.com>
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (1979م)، *تهذيب تاريخ دمشق الكبير*، تحقيق: عبد القادر بدران، (د. ط)، عمّان، دار المسيرة للطباعة والنشر.
- العمرى، أكرم ضياء، (1994م)، *السيرة النبوية الصحيحة*، ط6، المدينة المنورة، دار مكتبة العلوم والحكم.
- عيسى، محمد، (2007م)، *مدرسة الإقراء الجزائرية*، (مقال) مجلة رسالة المسجد، العدد (5) السنة الخامسة، (د.م).
- أبو الفتوح، رضوان، (1979م)، *علم التربية: المناهج وطرق التدريس*، (د. ط)، الرياض، وزارة المعارف السعودية.
- قباي، محمد، (2010م)، *السيرة النبوية والخلافة الراشدة*، ط1، الجزائر، دار الأصالة.
- القرضاوي، يوسف، (2002م)، *كُتَاب الرسول والعلم*، ط1، القاهرة، دار الصحوة.
- الكتاني، محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني، (د. ت)، *نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية*، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط2، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- مجلة إسلامية المعرفة، (رمضان 1417هـ _ يناير 1997م)، *مقتطفات من مذكرات الشيخ: قصة حياة الشيخ الغزالي*، العدد السابع، السنة الثانية، عدد خاص بالشيخ الغزالي رحمه الله، (د. م).
- المحاضرة الموريتانية وطرق التدريس بها <https://www.youtube.com/> El Mahdara 2 . (د. ت)، (د. ط)

- محمود، محمد أمين، (2016م)، "المحاضر الموريتانية؛ مؤسسات لنقل المعارف" بحث منشور على شبكة الإنترنت، ردمك: 3-
https://ouvrages.crascdz/index.php-9931-598-05
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (2004م)، المعجم الوسيط، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، (2000م)، لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر.
- النحوي، الخليل، (1987م)، بلاد شنقيط؛ المنارة والرباط، (د. ط) تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- ولد المجتبي، محمد الحافظ، (2001م)، الحديث علومه وعلمائه في بلاد شنقيط، (د. ط)، نواكشوط، مطبعة الأطلس.
- ولد بيه، (د. ت)، الدكتور عبد الله ولد الشيخ المحفوظ، محاضرة مسموعة مفرغ نصها على الرابط:
http://binbayyah.net/arabic/archives/3898 بواسطة: محمد سعيد ولد همدى.
- ولد محمد الأمين، محمد الصوفي، (1406هـ)، المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة للحصول
على شهادة الماجستير، (د. ط)، الرياض، جامعة الملك سعود.
- ولد محمد، مختار محمد، (1418هـ)، مقال: (نظم التقويم في المؤسسات التقليدية)، (د. م)، مجلة التعليم، العدد: (28).
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، (1981م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب،
تحقيق: محمد حجي، (د. ط)، نشر المغرب، وزارة الأوقاف، ودار الغرب الإسلامي.

قائمة المراجع المرومنة:

- İbn Ābāh, Moḥammed āl-Mokhtār, (1987M), *Āl-Shīa'r wā-Shūa'rūā fī Morītānyā*, (D. T), Toūnīs Āl-Shārīkāh Āl-Ṭonīsīyāh līlṭāoūzīa'.
- ‘Ārāb, Sāūd, (1410H, 1990M), *Āl-Qorrā'a Wā Āl-Qīrāāt, Bil Māgrīb*, Edition1, Beīrouṭ, Dār Āl-Gārb Āl-Islāmī.
- Āl-Boukhārī, Ābo ‘Ābd Āllāh Moḥammed İbn İsmāīl, (1375H), *Āl-Ādāb Āl-Mofrād*, Tāḥqīq Moḥammed Foād ‘abd Āl-Bāqī, Edition 2, Cairo. Āl-Māṭbā’ah Āl-Sālfīah.
- Āl-Boukhārī, Ābo ‘Ābd Āllāh Moḥammed İbn İsmāīl, (2004M), *Ṣāḥīḥ Āl-Boukhārī*, (D. T), Ṣāīdā- Beīrouṭ, Āl-Māktābāh Āl-‘ĀSriyāh.
- İbn Bāyh. ‘Ābd ‘Āllāh, (1999M), *Āl-Māḥāzīr; Mākānātoḥā Āl-Tārīkhīah, Wā Dāorohā Āl-Mostāqbālī Āl-Māṭloūb*, Ābhāth Āl-Mogtāqā Āl-Dāoūlī Lī-Toūrāth Moūrītānīā Noākshoūṭ, Moḥādhārāh Māsmoū’ah Wā Mofārrāg Nāsoḥā ‘Ālā Āl-Rābīṭ; http://bin bayyah.net/arabic/archives/3898.
- İbn Joubāier, (1964M) *Āl-Rīhlāh*. (D. T), Beīrouṭ, Dār Sādīr Līṭṭībā’ah Wānnāshīr.
- İbn Āl-Jāoūzī. Ābo Āl-Fārāj ‘Ābd Āl-Rāḥmān İbn ‘Ālī İbn Moḥammed İbn ‘ālī, (1426H, 2005M). *Āl-Modhīsh*, Ṭāḥqīq Mārwan Qābānī, Edition 2, Beīrouṭ, Dār Āl-Koṭob Āl-İlmīyāh.
- İbn Hābīb Āllāh, Āḥmed, (2000M), Māqāl (*Tāṭāoūr Āl-Nīthām Āl-Tārbāwī Fī Āl-Māḥāḍīr*), Mājāllāt Āl-T’ālīm, No: 13.
- Hoūsān, Ṭāḥā, (D. T), Āl-Mājmōū’ah Āl-Kāmīlāh, *Āl-Mojāllād Āl-Āwāl, Āl-Āyām*, Edition 2, Beīrouṭ, Dār Āl-Kīṭāb Āl-Lībnānī.
- Hāmītoū, ‘Ābd Āl-Hādī, (2006M), *Hāyāt Āl-Kottāb Wā Ādābīāt Āl-Māḥḍārāh, Ṣoūr Mīn ‘Īnāyāt Āl-Māgārībāh Bīl Kātātīb Wā Ālā-Mādārīs Āl-Qoūrānīah*, Edition 1, Mānshoūrāt Wīzārāt Āl-Āoūqāf Wā Āl-Shoouūn Āl-İslāmīyāh, Āl-Rībāt, Dār Ābī Rāqrāq Līl Āl-Ṭībā’ah Wā Āl-Nāshr.
- İbn Khāldoūn, Wālī Āl-Dīn Ābo Zāīd ‘Ābd Āl-Rāḥmān İbn Moḥammed İbn Moḥammed İbn Āl-Ḥāsān İbn Jābīr İbn Moḥammed İbn İbrāhīm İbn ‘Ābd Āl-Rāḥmān İbn Khālīd Āl-Ḥādrāmī, (1900M), *Āl-Moūqādīmāh*, Edition 3, Beīrouṭ, Āl-Māṭbā’ah Āl-Ādābīah.
- Āl-Dābbāg, Ābo Zāīd ‘Ābd Āl-Rāḥmān İbn Moḥammed Āl-Ānṣārī Āl-Oūsāīdī, (1388H, 1968M), *Mā’ālīm Āl-Īman Fī Mā’rīfāt Āhl- Āl-Qātrāwān*, Ākmālāh Wā aĀlāqā ‘Ālāih Ābo Āl-Fāḍl Ābo Āl-Qāsīm İbn ‘Īsā İbn Nājī Āl-Tānoūkhī, Tāḥqīq Moḥammed Āl-Āḥmādī Ābo Āl-Noūr. Moḥammed Māḍoūr, Edition 2, Cairo, Māktābāt Āl-Khānj, Wā Toūnīs, Māktābāt Āl-‘Āqīqāh.
- Āl-Dābbāg, Ābo Zāīd ‘Ābd Āl-Rāḥmān İbn Moḥammed Āl-Ānṣārī Āl-Oūsāīdī, (1968M), *Mā’ālīm Āl-Īman Fī Mā’rīfāt Āhl- Āl-Qātrāwān*, Ākmālāh Wā aĀlāqā ‘Ālāih Ābo Āl-Fāḍl Ābo Āl-Qāsīm İbn ‘Īsā İbn Nājī Āl-Tānoūkhī, Tā’līq İbrāhīm Shābbōūḥ, Edition 2, Cairo, Māṭbā’āt Āl-Khānjī.

- Āl-Zāyāt, Āhmed Ḥasān, (D. T), *Kāyfū 'Āraft Āl-Shānqīṭī*, Mājallāt Āl-Āzhār, No: 33.
- Āl-Sā'atī, Āmīn, (1991M), *Tābsīṭ Kūtābāt Āl-Bāḥth Āl-'ilmī*, Edition 2, Riyād, Āl-Shārikāh Āl-Sāoūdīah Lill Nāshr.
- Āl-Sībā'ī, Mouṣṭafā, (1998M), *Mīn Rāwā'ī'a Ḥāqārātonā*, Edition1, Damascus, Dār Āl-Warrāq, Āl-Māktāb Āl- Īslāmī.
- Ībn Sāhnoūn Ābo 'Ābo Ābd Āllāh Moḥāmmēd Ībn Ābī Sāeīd, (1392H, 1972M). *Ādāb Āl-Mo'ālīmīn*, Morājā'āt Wā T'ālīq Moḥāmmēd Āl-'Ārouṣī Āl-Māṭwī, Touñīs, Dār Āl-Mānār.
- Āl-Shānqīṭī, Āhmed Ībn Āl-Āmīn, (1998M), *Āl-Wāsīṭ Fī Tārājīm Oūdābā'ā Shānqīṭ*, (D. T), Cairo: Māktābāt Āl-Khānjī.
- Ībn 'Āshoūr, Moḥāmmēd Āl-Ṭahīr, (1427H, 2006M), *Ālāṣā Āssobḥo Bīqārīb, Āl-Tā'alīm Āl-'Ārābī Āl-Īslāmī, Dīrāsāh Tārīkhīah Wā Ārāā Īṣlāhīah*, Edition1, Cāiro, Dār Āl-Sālām, Touñīs, Dār Sāhnoūn.
- 'Ābd Āl-Rāhḥmān Moḥāmmēd, (Friday, 2010/9/10 هـ 1431/10/2), *Āl-Māḥāḍīr Āl-Moūrūtānīyah, Qīlā'ā Āl-'Īm Āl-Ṣāmīdah Fī Ā'māq Āl-Sāḥrā'ā*, Nwākshoūt Mājallāt Āl-Rāyāh. <https://webcache.googleusercontent.com>.
- Ībn 'Āsākīr, Ābo Āl-Qāṣīm 'Āli Ībn Āl-Ḥasān Ībn Hībāto Āllāh, (1979M), *Tāhthīb Tārīkh Dīmāshq Āl-Kābīr*, Tāḥqīq 'Ābd Āl-Qādīr Bādrān, (D. T). 'Āmmān, Dār Āl-Māsīrah Līlṭībā'āh wā Āl-Nāshīr.
- Āl-'Oūmārī, Ākrām Ḍīyā'a, (1994M), *Āl-Sīrāh Āl-Nābāwīyah Āl-Ṣāḥīhāh*, Edition 6, Āl-Mādīnāh Āl-Monāwārāh, Dār Māktābāt Āl-'Oloūm Wā ĀlḤīkām.
- 'Īsā, Moḥāmmēd, (2007M), *Mādrāsāt Āl-Īqrā'ā Āl-Jāzārīyah* (Māqāl) Mājallāt Rīsālāt Āl-Māsīd, No: 5, Year 5.
- Ābo Āl-Fotoūh, Rīḍwān, (1979M), *'Īm Āl-Tārībāh, Āl-Mānāhīj Wā Ṭoroq Āl-Tādrīs*, (D. T), Riyad, Wīzārāt Āl-Mā'arīf Āl-Soūdīah.
- Qābbānī, Moḥāmmēd, (2002), *Āl-Sīrāh Āl-Nābāwīah Wā Āl-Khīlāfāh Āl-Rāshīdah*, Edition 1, Āl-Jāzāir, Dār Āl-Sāḥwāh.
- Āl-Qārādāwī, Yoūsof, (2002M), *Kottāb Āl-Rāsoūl Wā Āl'Īm*, Edition 1, Cairo, Dār Āl-Sāḥwāh.
- Āl-Kīttānī, Moḥāmmēd 'Ābd Āl-Ḥāī Āl-Kīttānī Āl-Īdrīsī, Āl-Ḥasānī, *Nīzām Āl-Ḥokoūmāh Āl-Nābāwīyah Āl-Mosāmmā Āl-Tārūtīb ĀlĪdārīyah*, Tāḥqīq 'Ābd 'Āllāh Āl-Khāldī, edition 2, Beīroūt, Dār Āl-Ārqām Ībn Ābī Āl-Ārqām.
- Mājallāt Īslāmīāt Āl-Mā'rīfāh, No: 7 second Year, (Rāmādān, 1417H, 1997M). *Moqtāṭāfāt Mīn Mothākārāt Āl-Shāikh: Qīṣāt Ḥayāt Āl-Shāikh Āl-Gāzālī*, 'Ādā Khāṣ Bī Āl-Shāikh Āl-Gāzālī Rāḥīmāhū Āllāh, (D. M).
- Āl-Māḥḍārāh Āl-Moūrūtānīah Wā Ṭoūroq Āl-Tādrīs Bīhā*. El Mahdara 2 <https://www.youtube.com/>(D. T), (D. T).
- Mouḥāmmēdo, Mouḥāmmēdn, Āmīn, (2016M), *Āl-Māḥāḍīr Āl-Moūrūtānīā, Mo'āssāt Līnāql Āl-Mā'arīf*, resersh on net: 2016-9931-598-05-3, [دمك:https://ouvrages.crasc.dz/index.php](https://ouvrages.crasc.dz/index.php).
- Mouṣṭafā, Ībrāhīm, Wā Ākhāroūn, (2004M), *Āl-Mo'ajām Āl-Wāsīṭ*, Edition 2, Cairo, Māktābāt Āl-Shoroūq Āl-Dāoūlīah.
- Ībn Mābzouūr, Ābo Āl-Fāḍl, Jāmāl Āl-Dīn Moḥāmmēd Ībn Kārām, (2000M), *Līsān Āl-'Ārāb*, Edition1, Beīroūt, Dār Sādīr.
- Āl-Nāḥāwī, Āl-Khālī, (1987M), *Bīlād Shānqīṭ, Āl-Mānārāh Wā Āl-Rībāṭ*, (D. T), Touñīs, Āl-Monāthīmāh Āl-Ārābīah Liltārībāh Wā Thāqāfāh Wā Āl-'Oūloūm.
- Wold Āl-Mojtābā, Moḥāmmēd Āl-Ḥāfīth, (2001M), *Āl-Ḥādīth 'Oloūmoh Wā 'Olāmāoūh, Fī Bīlād Shānqīṭ*, (D. T), Nwākshoūt, Māṭbā'āt Āl-Āṭlās.
- Wold Bāīh, (D. T), *Dr. 'Ābd Āllāh Wold Āl-Shāikh Āl-Māḥfoūz*, Moḥāḍārāh Māsmoū'āh, On Net: by Moḥāmmēd Sāīd Wold Hāmdī: <http://binbayyah.net/arabic/archives/3898>.
- Wold Moḥāmmēd Āl-Āmīn, Moḥāmmēd Āl-Ṣoūfī, (1406H), *Āl-Māḥāḍīr Āl-Moūrūtānīah, Wā Āthārīhā Fī Āl-Mojtāmā' Āl-Moūrūtānī*, (D. T), Rīsālāt Māster, Riyad, King Soūd Unīversity.
- Wold Moḥāmmēd, Mokhtār Moḥāmmēd, (1418H), *Māqāl: Nāthm Āl-Tāqwīm Fī Āl-Mo'āssāt Āl-Tāqlīdīah*, (D. M), Mājallāt Āl-Tā'līm, No: (28).
- Āl-Wānshīrīsī, Ābo Āl-'Ābās Āhmed Ībn Yāḥyā, (1981M), *Āl-Mo'yār Āl-Mo'rāb Wā Āl-Jāmī'a Āl-Mogrīb 'Ān Fātwā Āhl Īfrīqyāh Wā Āl-Āndāloūs Wā Āl-Māgrīb*. (D. T), Tāḥqīq oḥāmmēd Ḥājījī, Nāshr Āl-Māgrīb, Wīzārāt Āl-'Āoūqāf, Wā Dār Āl-Gārb Āl-Īslāmī.